الجمهوريّة الجزائريّة الديمقراطيّة الشعبيّة
وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون -تيارت
كلية العلوم الاجتماعية و الانسانية
قسم التاريخ

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة ماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي

موسومة بـ

الأندلسيون في بجاية خلال عهدي الموحدين والحفصيين -الخصوصية و التأثير (من القرن 6هـ- 9هـ/12م-15م)

إعداد الطالبين:

- مـــداح خـــالـــد
- موسوني حليمة

إشـــــراف الأستاذ:

الياس حاج عيسى

لجـــنة المنـــاقـــشة

د.حاكمي الحبيب	رئيسا
أ.الياس حاج عيسى	مشرفا
أ.حسين بوخلوة	مناقشا

السّنة الجامعيّة: 1438هـ -1439هـ/2017م-2018م

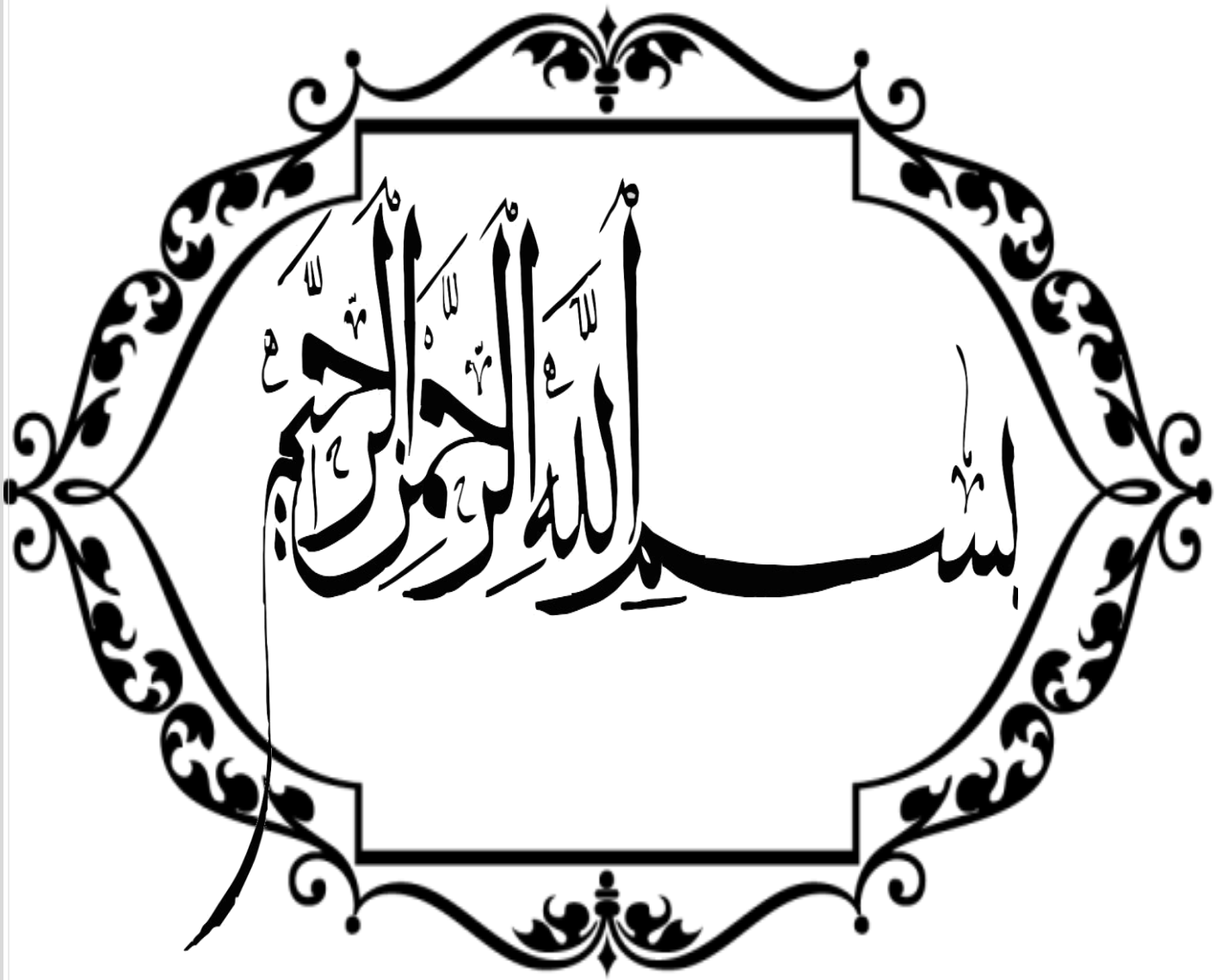
بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى روح أمي الغالية التي علمتني معنى الحياة إلى والدي العزيز أطال الله في عمره

إلى زوجتي وأولادي لؤي وشيماء إلى اخواني وأخواتي وأصدقائي الأعزاء إلى كل

عائلة مداح وموسوني فردا فردا إلى كل من ساعدني على إخراج هذا البحث

المتواضع إلى الوجود.

كلمة شكر

- الحمد والشكر لله أولا وقبل كل شيء صاحب النعمة السداة الذي رزقنا التوفيق والسداد ووفقنا بقدرته على إتمام هذا البحث المتواضع، والصلاة والسلام على رسوله الكريم، وآله وصحبه أجمعين.
- نشكر جزيل الشكر الأستاذ الياس حاج عيسى على إشرافه على هذه المذكرة الذي لم يبخل علينا بمعلوماته ونصائحه الهادفة القيمة علميا ومنهجيا، نسأل الله له دوام الصحة والعافية.
- كما نتقدم بالشكر والتقدير إلى أساتذة قسم التاريخ بجامعة ابن خلدون بتيارت
- إلى كل من ساهم من قريب أو من بعيد في انجاز هذا البحث
- ونخص بالذكر الأساتذة المحترمين الذين قبلوا مناقشتي في هذه المذكرة
- إلى كل الأساتذة والمعلمين من التعليم الابتدائي إلى المرحلة الجامعية الذين بذلوا جهودا في بخاحنا فكانوا بحق طريق المرور إلى النجاح.

قائمة المختصرات

الاختصار	الكلمة
تح	تحقيق
مج	مجلد
تق	تقديم
تر	ترجمة
ط	طبعة
د.ط	دون طبعة
د.ت	دون تاريخ
د.ب	دون بلد
ج	جزء
ص	صفحة
م	ميلادي
هـ	هجري
ض	ضبط
ت	تاريخ الوفاة

.

مقدمة

مـــقـــدّمـــــة

تعد بجاية أحد أبرز الحواضر العلمية والفكرية بالمغرب الإسلامي منذ تأسيسها خلال العهد الحمادي، وحافظت على هذه المكانة في العهدين الموحدي والحفصي، ومع إزدياد الضغط النصراني على الأندلس وإنفراط عقد دولة الموحدين، كانت مقصدا للأندلسيين الفارين من جحيم المحاصرة والإجتثاث، خصوصا بعد هزيمة حصن العقاب، حيث باتت الأندلس تسير بخطى ثابتة نحو قدرها المحتوم وتوالى سقوط حواضرها بيد النصارى كما ساءت الأوضاع الإجتماعية والإقتصادية بها، وأثقلت الضرائب كاهل الأندلسيين، لقد كانت هزيمة العقاب القشة التي قسمت ظهر البعير، ويجمع العديد من المؤرخين أنها البداية لنهاية الوجود الموحدي بالأندلس فانقلبت موازين القوى لصالح النصارى، وأصبحت الهجرة الى المغرب الأوسط عموما وبجاية خصوصا أمرا لا مفر منه، حيث تضاعفت هجرات الأندلسيين اليها، فكان لهم دور الريادة والإبداع، وأصبحوا نبراسا للإسهام الفكري والحضاري وجعلوا بجاية في طليعة المراكز الثقافية بالمغرب الإسلامي، بل وزاحمت حتى حواضر المشرق واستطاعوا أن يؤسسوا خلال العهدين الموحدي والحفصي مجتمعها قائما بحد ذاته، كما امتاز الأندلسيون فيها بالمحافظة على خصوصيتهم، عاداتهم وتقاليدهم، وكان وضعهم الإجتماعي ببجاية مميزا عن باقي حواضر المغرب الإسلامي التي استقطبت باقي المهاجرين الأندلسيين.

لقد أرسى الأندلسيون في بجاية أرسى رقيا علميا وحضاريا فبرزت أسر برمتها تحمل لواء العلم ونبغت العديد من الشخصيات الأندلسية في مجالات مختلفة كالسياسة والعلوم الدينية والعقلية الفن والعمارة وغيرها، ولعل الإشكالية التي تتبادر الى الذهن عند دراسة هكذا موضوع هي: فيما تمثل التأثير الأندلسي على بجاية خلال العهدين الموحدي والحفصي؟

و تنطوي تحت هذه الإشكالية تساؤلات عديدة منها: ماهي دوافع الاندلسيين للهجرة الى بجاية؟ كيف ساهم موقع بجاية في ازدياد الوافدين الاندلسيين اليها؟ ماهي أبرز الأسر الأندلسية

التي استقرت ببجاية؟ فيما تمثلت خصوصية الأندلسيين في المجتمع البجائي؟ ومن هي أهم الشخصيات الأندلسية التي نبغت ببجاية؟

لذا فموضوعنا الموسوم بـ:"الأندلسيون في بجاية خلال العهد الموحدي والحفصي" يكتسي أهمية بالغة كونه يسلط الضوء على التأثير الأندلسي فيها ويستعرض أهم الأسر وكذا الشخصيات السياسية والعلمية الأندلسية وخصوصيتها في المجتمع البجائي.

ويعود سبب اختيارنا لهذا الموضوع، رغبة منا في نفض غبار السنين والقرون عن إرث حضاري أندلسي دفين ببجاية ولمعرفة الدور الخطير ولحساس الذي لعبه الأندلسيون فيها خلال تلك الفترة، ولا نخطئ الصواب إذا قلنا ان المكانة التي حضي بها الأندلسيون في بجاية تختلف عن باقي حواضر المغرب الأوسط عموما وبالأخص أنهم لعبوا أدوارا سياسية لافتة وارتقى العديد منهم لمناصب سامية وبلغ نفوذهم حتى خوطب بعضهم على قدم المساواة مع السلطان الحفصي.

وقد قادتنا هذه الدراسة الى الإعتماد على المنهج التحليلي لإستقصاء دوافع هجرة الأندلسين الى بجاية خلال العهد الموحدي والحفصي والمنهج الوصفي لوصف مدينة بجاية جغرافيا كما اعتمدنا على المنهج الإستقرائي التحليلي فيما يخص أهم الأسر الأندلسية التي استقرت ببجاية وكذا أبرز الشخصيات الأندلسية العلمية والسياسية ومدى تأثيرها على المجتمع البجائي.

وشمل هذا البحث مقدمة ثلاثة فصول وخاتمة، في الفصل التمهيدي المعنون بـ: أصول وبدايات الهجرة الأندلسية الى بجاية تطرقنا الى أسباب هجرة الأندلسين الى بجاية كهزيمة حصن العقاب وتوالي سقوط الحواضر الأندلسية بيد النصارى وتردي الأوضاع الإجتماعية والإقتصادية بالأندلس التي دفعت كثيرا من الأندلسيين للهجرة بحثا عن مصادر الرزق وهربا من جحيم الضرائب، ضف الى ذلك العامل الجغرافي والذي تمثل في تشابه اقليم بجاية بأقاليم الأندلس من حيث المناخ والتضاريس وكذا القرب الجغرافي بينهما مما ساهم في سهولة وصول الأندلسيين الى بجاية كما بينا خلال هذا الفصل لمحة تاريخية عن مدينة بجاية و أوضاعها خلال العهد الموحدي

والحفصي، وبداية استقرار الأندلسيين بها، أما الفصل الثاني فهو معنون بالحياة الإجتماعية والإقتصادية للاندلسيين في بجاية خلال العهد الموحدي والحفصي في مبحثه الاول تطرقنا الى الحياة الإجتماعية للأندلسيين في بجاية كأهم البيوتات الأندلسية التي استقرت بها وكذا خصوصية الأندلسيين في المجتمع البجائي من حيث العادات والتقاليد والميل للإنعزال وكذا ظهور ما يعرف بالجماعة الأندلسية، في المبحث الثاني قدمنا إسهامات الأندلسيين في الجانب الإقتصادي ببجاية كالصناعة والزراعة والتجارة وتأثيرهم عليها في هذا المجال، في الفصل الثالث الذي جاء تحت عنوان الحياة العلمية والسياسية للأندلسيين في بجاية "خلال العهد الموحدي والحفصي" أشارنا في مبحثه الأول الى أبرز العلماء وأهم العلوم في بجاية إضافة الى التأثير الأندلسي العلمي على المجتمع البجائي، أما المبحث الثاني فتطرقنا فيه الى الدور السياسي البارز الذي لعبه الأندلسيون في بجاية الموحدية والحفصية في الحجابة والقضاء.

أما عن الدراسات السابقة لهذا الموضوع فمنها: أطروحة دكتوراه بعنوان الأندلسيون وتأثيراتهم الحضارية في المغرب الأوسط من القرن **7**هـ الى القرن **0**هـ/**13**من-**15**م لمحمد سعداني وكذا رسالة ماجيستر بعنوان هجرة الأندلسيين الى المغرب الأوسط خلال القرن **7**هـ/**13**م ودورهم الثقافي لعمارة سيدي محمد، وكذا رسالة ماجيستر بعنوان البيوتات الأندلسية في المغرب الأوسط من نهاية القرن **3**هـ الى نهاية القرن **9**هـ للباحث رفيق خليفي،غير أننا خصصنا موضوع بحثنا حول التواجد الأندلسي في بجاية تحديدا خلال الفترة الموحدية و الحفصية.

وبخصوص المصادر المعتمدة في هذا البحث فهي متنوعة فمنها ما يتعلق بالطبقات والتراجم كعنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية لأبي العباس أحمد بن أحمد الغبريني (ت **704**هـ-**1304**م)، والذي يعد من اهم المصادر في هذا الباب كونه يترجم لستة وثلاثين شخصية أندلسية حلت ببجاية خلال القرن السابع الهجري ودورهم العلمي والأدبي والسياسي، ومنها ما يتعلق بكتب التاريخ العام ككتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب و البربر ومن

عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر لعبد الرحمان بن خلدون المتوفي سنة **808**هـ/**1405**م المشهور بتاريخ ابن خلدون وهو يقع في سبعة أجزاء، اعتمدنا على جزئه السادس، وكون ابن خلدون عاصر الدولة الحفصية وفيه مادة وفيرة كذلك عن اوضاع المغرب الإسلامي في عهد الدويلات الثلاث الحفصية و الزيانية و المرينية وقد تضمن أيضا معلومات هامة عن الجاليات الأندلسية الوافدة على المغرب الأوسط.

ومن المصادر التي تضمنت معلومات تاريخية عن الأندلسين وحضورهم ببلاد المغرب الأوسط عموما، نذكر: كتاب نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب لشهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني المتوفى حوالي سنة **1041**هـ وهو من أهم المصادر التي تؤرخ للأندلسيين وهجرتهم الى المغرب الأوسط.

كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لإبن عذارى المراكشي (ت بعد **712**هـ) في قسمه الذي خصصه للموحدين حيث أفادنا عن معركة حصن العقاب وكذا عن أوضاع مدينة بجاية خلال حكم الموحدين.

كتاب الكامل في التاريخ لأبي الحسن هلي بن أبي الكرم بن الأثير المتوفي سنة **630**هـ وهو يعتبر أحد اهم المصادر التي تناولت تاريخ المغرب الإسلامي خلال القرنين السادس والسابع الهجريين.

استعنا أيضا بمصادر الجغرافيا والرحلات لمعرفة جغرافية بجاية ككتاب الروض المعطار في خير الأقطار لأبي عبدالله محمد بن عبدالله بن عبد المنعم الحميري المتوفى سنة **727**هـ، وكتاب الجغرافية لأبي الحسن علي بن سعيد المغربي المتوفى سنة685هـ.

كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب لأبي عبيد البكري المتوفى سنة **487**هـ وهو جزء من كتابه المسالك والممالك، وكذا كتاب الإستبصار في عجائب الأمصار لمؤلف مراكشي مجهول.

كتاب وصف افريقيا لحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الإفريقي توفي بعد عام **957**هـ.

أما عن المراجع فهي متنوعة أيضا نذكر منها : موسى لقبال ميزات بجاية ودورها في مسيرة المغرب الأوسط في العصور الوسطى، محمد عبدالله عنان دولة الإسلام في الأندلس، حسين مؤنس معالم تاريخ المغرب والأندلس، فرحات ابرهيم بكار الهجرات الأندلسية الى بلاد افريقية في العهد الحفصي.

ومن المقالات التي أفادتنا كثيرا نذكر مقالا لنصيرة عزرودي بعنوان هجرة الأندلسيين الى المغرب الأوسط بين الإنسجام والإصطدام من القرن **7**هـ/**13**م الى القرن **8**هـ/**14**م وكذا المشيخة الأندلسية في بجاية ودورها في تنشيط المعرفة التاريخية خلال القرن **7**هـ/**13**م لأسيا ساحلي، ودراسة هامة لناصر الدين مولود سعيدوني بعنوان التجربة الأندلسية بالجزائر، مدرسة بجاية ومكانتها في الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط (ق **6**هـ-**7**هـ/**12**م/**13**م).

وفي الختام نرجو أننا قد وفقنا في تقديم ولو القليل من المعلومات حول هذا الموضوع خصوصا وقد واجهتنا العديد من الصعوبات نذكر منها قلة المادة العلمية بالأخص التي تطرقت للحياة الإجتماعية والإقتصادية للأندلسيين في بجاية خلال العهد الموحدي والحفصي، وكذا الإرتباطات المهنية التي أثرت كثيرا على انجازنا لهذا البحث المتواضع.

وفي الأخير إن أصبنا فمن الله وإن أخطأنا فمن أنفسنا ولا يكلف الله نفسا إلاّ وسعها.

الفصل التمهيدي

أصول وبدايات الهجرة الأندلسية الى بجاية

- دوافع الهجرة الأندلسية الى بجاية خلال العهد الموحدي والحفصي
- بجاية وجهة المهاجرين الأندلسيين

المبحث الأول: دوافع الهجرة الأندلسية الى بجاية خلال عهدي الموحدين والحفصين

عرفت بلاد المغرب الإسلامي عموما وبجاية خصوصا ما بين القرن السادس هجري إلى التاسع هجري هجرة واسعة للأندلسيين الفارين من جحيم سيطرة النصارى على بلادهم واستيلائهم على مقدراتها، وقد تظافرت مجموعة من العوامل لتجعل من بجاية وجهة للأندلسيين خلال العهدين الموحدي والحفصي ، كما برزت عوامل أخرى أدت إلى تزايد عدد الوافدين من الأندلس إليها نذكر منها:

1 – معركة حصن العقاب:

إن المتتبع للحالة السياسية والعسكرية التي كانت تعيشها العدوة الاندلسية مع نهاية القرن **6**هـ–**12**م ومطلع القرن **7**هـ/**13**م، لا يتردد في الجزم بحالة الضعف والإنكسار التي شابت أغلب المدن الأندلسية في تلك المرحلة الحرجة ،في مقابل ذلك استعادت الممالك الإسبانية عافيتها ووحدت جهودها في محاولة منها فرض هيمنتها على شبه الجزيرة الإيبيرية ،وإحياء اسبانيا النصرانية وتعويض ما خسرته امام القوى الإسلامية منذ نهاية القرن **1**هـ/**7**م ،وبعد فقدان المسلمين عددا من المدن الإسلامية على فترات مختلفة ،كانت هزيمة الموحدين في معركة حصن العقاب[1] سنة **609**هـ– **1212**م حدا مفصليا تبعته هزائم متلاحقة ازدادت معها القبضة المسيحية على الاندلس.[2]

1 – العقاب: جبل مطل على غرناطة بينهما نحو ثمانية أميال وهو مجاور لمدينة البيرة، أنظر: علي بن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب ومدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص 235.

2 – آسيا ساحلي، المشيخة الأندلسية في بجاية ودورها في تنشيط المعرفة التاريخية خلال القرن 7هـ–13م، جامعة 20 أوت 1955م، سكيكدة، 2014، ص 100.

أعد الفونسو الثامن حملة صليبية للإنتقام من هزيمة الأرك[1] وطرد المسلمين من الأندلس فأنهى خلافاته مع ملكي نفار وأرجون واستنجد بالبابوية وَكَوَّنَ قوة مسيحية ضاربة تستطيع محاربة المسلمين وتوجيه أشد الضربات لهم، تحرك الناصر الموحدي بجيشه الكبير سنة **608**هـ/**1211**م ودخل جيان وحصنها ثم سار الى خانق وعسكر بجيشه على مقربة منها في سهل مليئ بالتلال الصخرية القليلة الإرتفاع تسمى العقاب والتقى بجيوش النصارى وتتألف من قوات من ليون ونافارا وقشتالة وأرجون وقوات من ألمانيا والبرتغال واستولت هذه الجحافل على قلعة رباح فذعر الناصر وأمر بقتل قائدها يوسف بن قادس هنا ارتاع الاندلسيون وتفرقوا وضعف شأن الناصر[2]، وفي الخامس عشر من صفر **609**هـ/ **16** يوليو **1212**م وقع اللقاء الحاسم وبعد قليل من الصراع انخذل الاندلسيون والعرب تاركين الجناح الشرقي من الجيش الإسلامي مكشوفا فانقض عليهم النصارى وانزلوا بالمسلمين هزيمة قاصمة قتل فيها عشرات الآلاف من المسلمين معظمهم من المجاهدين المتطوعين من اهل الأندلس، وكذلك حصدت المعركة زهرة مقاتلي المغرب وبلغ من ثقل الخسارة أن ابن عذارى المراكشي يحدثنا أن الإنسان كان يجول في المغرب بعد تلك المعركة فلا يصادف شابا قادرا على القتال. [3]

تعتبر هذه الموقعة بداية لضعف شامل أصاب المسلمين في الاندلس كما تعتبر نهاية لقوة الموحدين ولم تقم لهم قائمة بعد ذلك وتوفي الناصر بعدها بأشهر سنة **610**هـ/**1213**م وقد شجعت هزيمة المسلمين النصارى الإستيلاء على حصون المسلمين الواحد تلو الآخر[4]، فقد تضعضعت جبهة الوادي الكبير فسقطت مدن كبرى مثل بياسة وأبدة وأصبح النصارى يشرفون

1 – الارك: هي معركة وقعت سنة 591 هجرية هزم النصارى فيها وانتصر عليهم الموحدين انتصارا كبيرا، تعتبر من أهم انجازات الخليفة الموحدي يعقوب المنصور. أنظر: عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1984، ص 274.

2 – نفسه، ص 276.

3 – حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، القاهرة، 1992م، ص 440.

4 – عبد الرؤوف الفقي، المرجع السابق، ص 277.

مباشرة على قرطبة واشبيلية ومرسية وغيرها من عواصم خط الوادي الكبير[1]، وكانت هذه الهزيمة بداية نهاية الوجود الإسلامي بالأندلس[2] فسرعان ما دب الضعف في كيان الدولة الموحدية وتفتت الوحدة السياسية لبلاد المغرب[3] وتوالت الفتن والثورات ضد الموحدين سواء من المسلمين كثورة ابن مردنيش وابن هود الجوذامي بألميرية أو من قبل المسحيين الذين استغلوا تلك الأوضاع فسقطت الكثير من المدن بأيديهم وعاثوا فيها فسادا[4]، ووصف إبن الدباغ الإشبيلي[5] هذه الموقعة أيما وصف فقال:

وقائلة أراك تطيل فكـــــرا كأنك وقفت لـــــدى الحسـاب

فقلت لها أفكر في عقـاب غدا سببا لمـــــعركة العقـــاب

فما في أرض أندلس مقـــام وقد دخل البلاء من كـل باب.[6]

ولم يوقف الزحف المتواصل للنصارى على مدن المسلمين إلا مصاعب التموين وانتشار الفوضى بين جنود النصارى بسبب الغنائم ومع انتشار الوباء بينهم جراء اشتداد درجة الحرارة

1 – حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 440.

2 – إبن عذرى المراكشي، البيان المغرب في الأندلس والغرب، قسم الموحدين، تحقيق: محمد ابراهيم الكتاني، محمد زنبير، محمد بن تاويت، عبد القادر زمامة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1406هـ/1985م، ط1، ص 235 .

3 – نصيرة عزرودي، هجرة الأندلسين الى المغرب الأوسط بين الإنسجام والإصطدام من القرن 07هـ/13م الى القرن 8هـ/14م، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد04، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2009، ص 40.

4 – أبو زيد عبد الرحمان بن خلدون، العبر ديوان المبتدا والخبر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: عبادة كحيلة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2007 ، ج6، ص 204.

5 – هو محمد بن ابراهيم بن المفرج الأوسي المعروف بابن الدباغ الاشبيلي كان واحد عصره في حفظ مذهب الإمام مالك وعارفا باللغة والنحو والأدب والشعر والتاريخ توفي أول شوال سنة ثمان وستين وستمائة للهجرة، أنظر: لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تقديم: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1975، ط2، ج3، ص 68-69.

6 – أحمد بن محمد المقري، نفخ الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1998،ج04، ص 464.

وتعفن الجثث، ارتد ملوك النصارى نحو الشمال ودخلوا طليطلة في موكب ملوكي ضخم واقيمت صلوات الشكر ابتهاجا بالنصر وتقرر أن يغدو **16**يوليو عيدا قوميا سمي عيد ظفر الصليب.[1]

2- انهيار الحواضر الأندلسية:

اتسمت الشخصية الأندلسية منذ البدايات الأولى للتواجد الإسلامي على الأرض الإسبانية والى ما بعد سقوط الأندلس بسمة هامة وهي الميل الى التنقل والهجرة، فطبيعة الحياة التي عاشها الأندلسيون في بلادهم سواءا في ظل الإسلام أو بعد نجاح حركة الإسترداد جعلتهم ينزعون دائما الى الرحيل لا سيما الى بلاد المغرب الإسلامي[2].

حيث اتضحت معالم الهجرات الأندلسية نتيجة توالي سقوط الحواضر الإسلامية في يد ملوك المسيحية في اسبانيا في عصري الطوائف والمرابطين كسقوط طليطلة[3]، سنة **487**هـ-**1094**م، وسرقسطة[4] سنة **512**هـ-**1118**م إلا أن هذا لم يؤدي الى حدوث هجرات أندلسية كبيرة وجماعية ملحوظة الى أقطار حوض البحر المتوسط وتفسير ذلك يرجع الى انه وحتى نهاية عصر المرابطين، بل وحتى نهاية الشطر الأول من العصر الموحدي في سنة **609**هـ-**1212**م كانت الكفة الإسلامية لا تزال الكفة الأرجح فيما يتعلق بميزان القوى في الصراع الإسلامي الإسباني في

1 - محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الرابع، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1416هـ-1997م، ط4، ص 224.

2- نصيرة عزرودي، المرجع السابق، ص 41.

3 - طليطلة: كانت طليطلة في بداية الحكم الإسلامي للأندلس تعرف بالثغر الأدنى وبعد انهيار الخلافة قامت فيها مملكة ذي النون. أنظر: محمد عبدالله عنان، دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1408هـ-1988م، ط3، ص 95.

4 - سرقسطة: من اهم قواعد الأندلس واسعة الشوارع بها صور حصن تقع على ضفة النهر الكبير المعروف بأجرة، وتسمى أيضا بالمدينة البيضاء لكثرة جسها وجيرها، أنظر: أبو عبدالله محمد بن عبد العزيز الشريف الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق : اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص 278.

شبه الجزيرة الإيبيرية[1]، فقد كان لتدهور الأوضاع السياسية بالأندلس أثر مباشر على توالي الهجرات الأندلسية تجاه المغرب الأوسط بصفة خاصة والمغرب الإسلامي بصفة عامة[2]، رغم سعي الموحدين لصد هجمات النصارى التي كللت بإحرازهم انتصارات هامة كما حصل في معركة الارك وتعتبر هذه المعركة أختا لمعركة الزلاقة[3]و كان لها أبعد الأثر في تثبيت جبهة الإسلام الأندلسي لمدة قرن كامل من الزمن على الأقل.[4]

إن حركة الاسترداد النصراني من أقوى دوافع الهجرة الأندلسية الى حواضر المغرب الأوسط فقد نتج عنها سقوط العديد من القواعد الأندلسية الكبرى في أيدي النصارى نتيجة لضعف الموحدين في الأندلس في اعقاب الهزيمة القاسية التي لم تقم للمسلمين بعدها في الأندلس قائمة تحمد فاندفعت حركة الإسترداد ونشطت نشاطا لم تشهده من قبل وتكالبت على قواعد الأندلس قوى النصرانية وازداد ضغط الممالك الإسبانية على ثغور المسلمين وحواضرهم في الأندلس.[5]

ففي القرن **7**هـ/**13**م شهدت الأندلس سقوطا متتابعا وسريعا لمدنها الشرقية والغربية فسقطت قرطبة سنة **633**هـ/**1235**م وبلنسية سنة **636**هـ/**1238**م وشاطبة سنة **645**هـ-**1247**م واشبيلية سنة **646**هـ/**1248**م ومرسية سنة **666**هـ/**1267**م حيث كان ملوك النصارى الذين استولوا على هذه المدن يشجعون المسلمين على مغادرتها نحو العدوة المغربية، لقد مثّل هذا القرن ذروة الهجرة الأندلسية نحو المغرب عموما وفي بجاية خاصة[6]، وقد استمر الضغط القشتالي كما تشهد به

1 – نصيرة عزوزي، المرجع السابق، ص 42.

2 – المقري، المصدر السابق، ج5، ص 282.

3 – معركة الزلاقة: معركة فاصلة دارت بين النصارى والمسلمين سنة 479هـ/1086م انتصر المرابطون فيها وانقذوا الحكم الإسلامي بالأندلس ، أنظر : عبد الرؤوف الفقي، المرجع السابق ، ص 258.

4 – حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 439.

5 – عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 684.

6 – خالد بلعربي، مساهمة الجالية الأندلسية في الحركة العلمية بتلمسان خلال العهد الزياني، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، ص 162.

رسائل بن الخطيب الغرناطي على بني الأحمر طيلة القرن **8**هـ/**14**م لكن بشكل أقل حدة مقارنة منه بالقرن **7**هـ/**13**م فأخذت حركة الجلاء تتسرب نحو المغرب ببطئ واغلب من وفد على المغرب الاوسط في هذا القرن كان لغرض الدراسة والتلقي على يد العلماء البارزين أمثال المرازقة، وآل المقري، وبني الإمام والمشداليين وغيرهم، ثم تجدد الضغط بشكل صارم في القرن **9**هـ/**15**م الى ان سقطت غرناطة أخر معقل للمسلمين في الأندلس.[1]

وتعد الهجرة الجبرية التي تعرض لها اهل شاطبة سنة **645**هـ/**1248**م احدى اكبر الهجرات الأندلسية في التاريخ الوسيط، فقد خرج الاهالي في عدة آلاف لم تحددها المصادر الأندلسية بدقة، وتفرقوا فمنهم من نزح الى القواعد الاندلسية الباقية خاصة غرناطة، ومنهم من عبر البحر الى المغرب وهناك تفرقوا في بجاية، تونس، والإسكندرية.[2]

3- تردي الوضع الإجتماعي والإقتصادي بالأندلس:

كان للأوضاع الإجتماعية بالأندلس دور كبير في هجرة الكثير من الاندلسيين نحو بلاد المغرب الإسلامي بسبب الظلم وثقل الضرائب وحتى الصراع العنصري بين طبقات المجتمع الأندلسي، كما ارتفعت الأسعار ارتفاعا مذهلا ونتيجة الصراع الدائم بين المسلمين والمسحيين بالاندلس كانت الضرائب مرتفعة جدا وذلك لتغطية نفقات الحرب.[3]

ويلاحظ انه كلما ساءت الأوضاع السياسة بالأندلس وتعاظم الخطر النصراني استتبعه ترد في الأوضاع الإقتصادية وهذا ما حدث بعد تتابع سقوط المدن في شرق الأندلس وغربها حيث لم يبقى للمسلمين إلا غرناطة وضواحيها والمؤكد ان الأندلسيين قد ساءت أوضاعهم بحيث لم يكن لهم القدرة على الإستمرار في الحياة بأية صورة من الصور وذلك بسبب استفحال الأمراض والأوبئة

1 – مجهول، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، تحقيق: رضوان الداية، دار الفكر، دمشق، 2002، ط2، ص 97.

2 – نصيرة عزرودي، المرجع السابق، ص 42.

3 – عز الدين احمد موسى، النشاط الإقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، دار الشروق، القاهرة، 1983م،ط1، ص 88.

وانتشار الجوع والفقر الشديد وارتفاع الأسعار وغلائها وانعدام مصادر النقد من الصناعة والتجارة والزراعة وبطبيعة الحال فإن هذه الأحوال الإقتصادية المزرية كانت عاملا قويا وأداة ضغط ما أجبر الأندلسين على الهجرة باتجاه المدن المغربية العامرة مثل بجاية[1] وتلمسان.[2]

وكان وراء كل سقوط لمدينة اندلسية حصار مشدد من الجيوش النصرانية تتبعه مجاعة شديدة تدفع السكان الى الإستسلام او الموت جوعا، فمدينة إشبيلية سبق سقوطها ترد للاوضاع الإقتصادية بسبب الحصار المضروب عليها من النصارى الإسبان، وفي هذا الصدد يصف ابن عذارى المراكشي حالة المدينة المنكوبة بالحصار:« وعدموا المرافق كلها قليلها وجليلها إلا ما كان في بعض ديار الأغنياء فإنهم كانوا يحتاطون في تلك الأمور مثل القاضي ابن منظور فانه كان يطمع في اقلاع النصارى عن المدينة فيأمر الناس بالقتال والرمي بالنبال والناس مع ذلك حيارى يمشون سكارى وما هم بسكارى ومات بالجوع خلق كثير وعدمت الأطعمة من القمح والشعير واكل الناس الجلود وفنيت المقاتلة من العامة واصناف الجنود[3]، وهكذا تم تسليم المدنية للنصارى سنة **646**هـ/**1248**م بسبب الجوع والمرض والحرمان وتخاذل الموحدين في نجدتهم».[4]

ومن جهة اخرى كانت المدن الساحلية للمغرب الأوسط مصدر جذب للاندلسيين الذين يبحثون عن زيادة اموالهم وتنشيط تجارتهم ومن ثم فالعامل الإقتصادي بهذه الصورة قد دفع الأندلسيين الى الهجرة من بلادهم بسبب وجود الثروات سواء أكانت فلاحية او حيوانية بالمدن

1 – محمد عبدالله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، المرجع السابق، ج4، ص 484.

2– تسمى بلغة البربر تلمسن كلمة مركبة من تلم ومعناه تجمع وسن معناه إثنان أي: الصحراء والتل. أنظر: أبو زكريا يحي بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تقديم وتعليق وتحقيق: عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية الجزائرية، (د.م)، 1980، ج1، ص 85. وتلمسان مدينتان إحداهما قديمة تعرف بأقادير أسسها بني يفرن قبل الإسلام والثانية أحدثها يوسف بن تاشفين سنة 474هـ وسماها تافرارت باسم المعسكر في لسانهم. أنظر: محمد مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (د.ت)، ج2، ص 445.

3 – بن عذارى المراكشي، المصدر السابق، قسم الموحدين، ص 380.

4 – محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، المرجع السابق، ص ص 484، 485.

الساحلية المغربية وتوفر فرص العيش بها ما شجع الأندلسيين على الإستثمار في هذه المدن وتجديدها ومشاركة سكانها الأصليين في تعميرها وتطويرها اقتصاديا[1]، حيث ساعدت وضعية المغرب الأوسط المتربع على مسافة **1600** كلم كشريط ساحلي تكثر فيه الموانئ والمراسي المهمة من رواج الحركة التجارية واستقطاب روادها من الأندلسيين بالخصوص.[2]

4- العامل الجغرافي:

يعتقد علماء الجيولوجيا ان البلاد المغربية والإسبانية كانتا وحدة جغرافية متصلة في العصور الجليدية والحجرية القديمة بناءا على وجود بقايا عظمية متشابهة عثر عليها في المناطق الساحلية للمنطقتين تعود للعصور المذكورة، ويؤكدون ان الشعب الإسباني القديم تكون أساسا من خليط بين العناصر الحامية الليبية التي هاجرت من شمال افريقيا مع العناصر الكلتية أو السلتية الأوربية ليعطي في النهاية العنصر الإيبيري وسميت شبه الجزيرة الإسبانية بإسم ايبيريا.[3]

ومما لاشك فيه ان العلاقة التي تربط الأندلس ببلاد المغرب كانت وثيقة وعميقة ومتعددة المجالات منذ الفتح الإسلامي ومرورا بجميع العصور التاريخية.[4]، لذا فإن التقارب الجغرافي بين بلاد الأندلس وبلاد المغرب الإسلامي سهل وشجع الجالية الأندلسية على التنقل بدون معوقات طبيعية سواء من البحر او اليابسة وانطلاقا من ذلك يشير البكري الى وجود علاقة جغرافية وطبيعية وثيقة بين العدوة الأندلسية والمغربية بالإضافة الى ان أحوال الطقس والمناخ السائد في بلاد

1 – محمد سعداني، الأندلسيون وتأثيراتهم الحضارية في المغرب الأوسط من القرن السابع إلى القرن التاسع الهجريين/ من القرن الثالث عشر إلى القرن الخامس عشر الميلاديين، أطروحة دكتوراه، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2016، ص 121.

2 –سحر السيد عبد العزيز سالم، أضواء على بعض المراكز التجارية في المغربين الأوسط والأقصى في القرن الثالث هجري، مجلة اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، العدد07، 2000، ص5.

3- أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، 1978، ص 22-23.

4 – محمد سعداني، المرجع السابق، ص 81.

المغرب الإسلامي تتشابه على الساحل مع مناطق الأندلس خاصة الساحلية منها مما جعل الإستقرار ميسرا للأندلسيين الوافدين الى بعض المدن الساحلية.[1]

يعتبر اقليم بجاية مماثل للأقاليم الأندلسية الشرقية والجنوبية من حيث خصوبة التربة واعتدال المناخ وكثافة الغطاء النباتي مما رغب الأندلسين في الهجرة اليها والإستقرار بها.[2]

لقد فتحت مدن المغرب الأوسط المجال واسعا لهؤلاء المهاجرين للإستقرار وبداية حياة جديدة بها في ظل تزايد عدد الوافدين من الأندلس[3]، فضلا على ان الموقع المتوسط لبجاية على الساحل الجزائري جعلها مقابلة للسواحل الأوروبية ونقطة اتصال مباشرة مع سواحل الأندلس فقد ارتبطت طيلة العصور الإسلامية بمرافئ شرق الأندلس مثل طرطوشة بلنسية ودانيا وقرطاجنة وألميرية، وأصبحت مع ازدياد الضغط النصراني بعد انقسام دولة الموحدين المحطة الأولى لعلماء الأندلس في هجرتهم نحو المغرب الأوسط او انتقالهم الى تونس او توجههم لأقطار المشرق.[4]

1 –محمد سعداني، المرجع السابق ، ص 120.

2 – ناصر الدين مولود سعيدوني، ناصر الدين مولود سعيدوني، التجربة الأندلسية بالجزائر، مدرسة بجاية ومكانتها في الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط (ق 6هـ – 7هـ/ 12-13هـ)، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ، 1417هـ/1996م، ط1، ص 82.

3 – محمد الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، 131.

4 – ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 82

المبحث الثاني: بجاية وجهة المهاجرين الأندلسيين:

1 – بجاية النشأة والتأسيس:

تميزت بجاية منذ القديم بجاذبيتها الخاصة حيث استطاعت أن تلفت الأنظار اليها واول من اكتشف سحرها هم الكنعانيون الفينيقيون[1]، الذين أسسوا بشمال افريقيا مجموعة من المدن منها بجاية أو صلدة كما سموها، وبعد الفنيقين آلت صلدة الى الحكم النوميدي[2]، ثم الإحتلال الروماني فأصبحت صلداي كما سموها من ضمن مستعمراتهم ثم خضعت للإحتلال الوندالي[3] وسموها قورايا ثم الإحتلال البزنطي[4] الى أن فتحها العرب المسلون ابتداءا من القرن **7**م ولم يذع صيتها في العهد الإسلامي إلا بعد أن اختطها الناصر بن علناس سنة **460**هـ[5].

تجمع بعض المصادر على ان بناء مدينة بجاية كان نتيجة هزيمة الناصر في معركة سبيبة[6]، قرب القيروان سنة **457**هـ وخيانة العرب به مثل قبيلة الأثبج وعدي هم من قبائل من العرب

---

1 – الفنيقيون: أمة سامية وهي فرع من الكنعانيون الذين أقاموا حضارتهم في فلسطين ولبنان وجزء من سوريا يعود تاريخهم الى الربع الأخير من الألفية الثانية قبل الميلاد، انظر: عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ط1، ص 09.

2 – النوميديون: هم سكان شمال افريقيا الأصليين انقسمت مملكتهم الى قسمين: ماسيسيل غرب الجزائر وماسيل شرقها وشمال تونس، أنظر: محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ الى الفتح الإسلامي، مؤسسة الجزائر، 1962، ص 60.

3 – الوندال: قبائل جرمالنية انحدروا من السلالات النورمندية، السيد عبد العزيز سالم، المغرب الكبير (العصر الإسلامي)، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ج2، ص 03.

4 – البزنطيين: ينتسبون الى روما اسسها الإمبراطور قسطنطين سنة 333م، أنظر: الطيب بنادر، الجزائر حضارة وتاريخ، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2008، ص 29.

5 – رشيد بورويبة، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1997، ص 69.

6 – سبيبة: ناحية من اعمال افريقية يتم من اعمال القيروان، أنظر: شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977، ج3، ص 86.

الهلالية[1]، والمعركة كانت بين الناصر بن علناس وعمه تميم بن المعز الزيري صاحب افريقية وخلال المعركة اتفقت القبائل العربية التي كانت في صف الناصر الإنضمام الى تميم فغدرت به وهزم عسكر الناصر، فلما نجا الى القلعة نزلت عليه جيوش العرب وضيقوا عليه فلم يعد يستقيم له العيش في قلعته، بلغ تميم ذلك فأصابه حزن شديد وقرر عقد الصلح معه.[2]

تعتبر حادثة عقد الصلح السبب الرئيسي في اختطاط مدينة بجاية حيث بعث الحاكم الزيري صاحب افريقية رسوله محمد بن البعبع الذي مر على موضع بجاية فتأملها حق التأمل فلما قدم الناصر غدر بصاحبه تميم بن المعز واستخلي بالناصر واشار عليه ببناء بجاية وأراه المصلحة من ذلك فامر الناصر ساعته بالبناء والعمل.[3]

ويرجع البعض أن السبب الرئيسي لتشييد مدينة بجاية أن الناصر كانت له اطماع توسعية ويريد فتح المهدية فرأى أنه لا يستطيع فتحها إلا إذا هجم عليها من البر والبحر[4]، كما وجد تطلعاته في المنطقة فبنى فيها مرسى مأمونا وأنشأ بها أسطولا بفضل ما تتوفر عليه المنطقة من خشب وحديد الى جانب هذا نجد ان بجاية تتوسط العديد من المدن مما جعل منها منطقة اتصال وتواصل وجعلها مصدر للتبادل التجاري برا وبحرا.[5]

1 – القبائل الهلالية: نزحت من صعيد مصر الى افريقيا بتأليب الفاطميين وسميت هذه الهجرة بالتغريبة الهلالية وتشمل قبائل بني هلال وبني سليم وعدي والأثبج ورياح وزغبة، أنظر: عبد الحميد خالدي، الوجود الهلالي والسليمي في الجزائر، الجزائر، 2003، ص 194.

2 – مؤلف مجهول، الإستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، ، ص 129.

3 – أبو الحسن علي بن أبي الكرم ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق: نخبة من العلماء، دار الكتاب العربي، بيروت، 1983، ط4، ج7، ص 373.

4 – رشيد بورويبة ، المرجع السابق، ص 68.

5 – نفسه، ص 69.

وهناك رأي آخر يقول بأن بناء بجاية يرجع لمجرد الخوف من غزوات الهلاليين[1] لذا وقع الإختيار على بجاية كونها محصنة طبيعيا، بفضل مسالكها الوعرة إذا لا يوجد بها سوى منفذ واحد من جهة الغرب مما يجعلها بعيدة عن المطالب الخارجية وتحقق أمن ساكينيها.[2]

أما ابن الخطيب فيرى أن بنائها لا يعود الى معركة سبيبة وما ترتب عنها من صلح بل لكره الناصر مجاورة بني حماد[3]، فأمر الناصر بوضع الأساس لها وبعدها شرع في بنائها سنة **460**هـ وبهذا أصبحت دار سلطان الحماديين[4]، وبعد تشيدها أطلق عليها اسمه وأصبحت تعرف بالناصرية كما أنشا بها دارين لصناعة السفن واساطيل القتال وأقام بها المباني والصناعات والفنون ما جعلها قبلة لطلاب الحضارة من الشرق والغرب.[5]

2 – لمحة جغرافية عن مدينة بجاية:

بجاية مدينة عتيقة تقد في منحدر جبل شاهق على ساحل البحر المتوسط[6] ، بينها وجزيرة بني مزغنة مسيرة أربعة أيام[7]، وهي مدينة ساحلية تتوسط كل من افريقية شرقا والمغرب غربا يحيط بها البحر من ثلاث جهات فيرتسم موقعها بتقوس إهليجي عرضه حوالي **28** ميلا يبتدئ من الشرق عند رأس العوانة وينتهي في الغرب عند الذراع الذي ينحدر من جبل امسيون (جبل جورايا

1 – حسن احمد بن محمد الفاسي الوزان ليون، وصف إفريقيا، ترجمة: عبد الرحمان حميدة، مراجعة: علي عبد الواحد، المملكة العربية السعودية، (د.ت)، ص100.

2– مؤلف مجهول، المصر السابق، ص 129.

3 – أبو عبدالله محمد السلماني لسان الدين ابن الخطيب، أعمال الأعلام، تحقيق: أحمد مختار العبادي وابراهيم الكتابي، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964، ج3، ص 170.

4 – ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج2، ص 339.

5 – عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ، 1994، ط7،ج1، ص 281.

6 – حسن الوزان، المصدر السابق، ص 100.

7 –ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص 339.

حاليا)[1]، وتتشكل المنطقة الى جانب التلال من منخفضات شديدة الإنحدار معتدلة الإرتفاع بنيت على مشارفها المدينة أما موقعها بالنسبة لخطوط الطول والعرض فهي تقع على درجة **2** و**45** دقيقة من خط الطول الشرقي و**36** درجة و**45** دقيقة من خط العرض الشمالي.[2]

ويذكر أبي الفدا في كتابه تقويم البلدان أن بجاية هي قاعدة المغرب الأوسط ولها نهر على شاطئه البساتين[3]، أما العبدي في كتابه الرحلة المغربية فيذكر أنها مدينة كبيرة حصينة منيعة وثيقة البنيان عجيبة الإتقان رفيعة المباني غريبة المعاني موضوعة في أسفل جبل وعر مقطوعة بنهر وبحر منيعة فلا مطمع فيها لمحارب ولا متسع فيها لطاعن وضارب[4]، كما أورد أيضا الحميري (ت **900**هـ) في كتابه الروض المعطار في خير الأقطار أن بجاية قاعدة المغرب الأوسط مدينة عظيمة على ضفة البحر وهي على جرف حجر ولها من الشمال جبل يسمى أمسيون وهو جبل صعب المرتقى في أكنافه أنواع من النبات المنتفع به في صناعة الطب مثل البرياريس والقنطوريون والروان والأسفيوس وغير ذلك من الحشائش[5]، كما يذكر حسن الوزان في كتابه وصف افريقيا بأن المدينة كلها عقبات بحيث أن الماشي لا يستطيع أن يخطو خطوات دون أن يصعد أو ينزل[6]، تنقسم بجاية الى قسمين :القسم الأول على شكل مدرج فوق المنحدرات السفلية (جبل لا قورايا)

1 – جبل قورايا يقع في اس هذا الجبل قبر لاقورايا يقصده الكثير من الأهالي للتبرك ويقال أن اسم قورايا مأخوذ من كلمة جورا الوندالية بمعنى جبل، أنظر : اسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص 183.

2 – اسماعيل العربي ، المرجع السابق، ص 184

3 – عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر أبي الفدا، تقويم البلدان، تصحيح: رينورد والبارون ماك كوكين، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1830، ص 137.

4 – محمد العبدري البلنسي، الرحلة المغربية، تقديم : سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات الجزائر، ، 2007، ط1، ص 49.

5 – محمد عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خير الأقطار، تحقيق: احسان عباس، مكتبة لبنان، ، 1975، ط1، ص 80.

6 – حسن الوزان، المصدر السابق، ص 50.

والقسم الثاني بجاية الحديثة التي تمتد نحو وادي الصومام الذي يعتبر نقطة وصل وفصل معا أما الوصل فيتمثل في الربط بين المدينة وجبال جرجرة والفصل في انه حاجز مائي بين سكان هذه المناطق.[1]

و بجاية معلقة من جبل قد دخل في البحر يضرب فيه وهي مدينة كثيرة الفواكه والخيرات مطلة على البحر ولها نهر عظيم قد وضعت عليه نواعر وله منتزه عظيم، وفي بجاية موضع يعرف باللؤلؤة وهو انف من الجبل قد خرج في البحر متصل بالمدينة فيه قصور من بناء ملوك صنهاجة غاية في الحسن فيها طاقات مشرفة على البحر عليها شبابيك الحديد والأبواب والمجالس المقرضة المبنية حيطانها بالرخام الأبيض قد نقشت بالذهب واللازورد[2] وهذا الجبل أمسيون هو كثير البساتين وكثير القردة وفيه الحيوان المشوك المسمى بالذرب.[3]

و تنفرد بجاية بمجموعة من الخصائص والمميزات تشتمل على مختلف العناصر التضاريسية حيث يقول حسن الوزان «... بأنها تكاد أن تكون كلها مؤلفة من جبال شاهقة وعرة».[4]

أما موقع بجاية فهو متميز من حيث الحصانة الطبيعية فهي تقع على منحدر جبل قورايا يرد عنها المهاجمين ويسمح لها بالتحكم في السهل القريب منها حيث يصب نهر الصومام ومنطلق الطرق البرية المؤدي الى الداخل عبر وادي الصومام وجبال القبائل ماجعلها المحطة الأولى للأندلسيين في هجرتهم نحو المغرب الأوسط[5]، وما زاد من اهمية موقع بجاية كون اقليمها مماثل

1 – موسى لقبال، ميزات بجاية وأهمية دورها في مسيرة تاريخ المغرب الأوسط في العصور الوسطى، مجلة الأصالة، السنة الرابعة، العدد 19، عدد خاص ببجاية، 1394هـ ، ص ص 3 ، 5.

2 – الحميري، المصدر السابق، ص 81.

3 – مؤلف مجهول، الاستبصار، المصدر السابق، ص29.

4– حسن الوزان، المصدر السابق، ص 50.

5 – ناصر الدين سعيدوني، االمرجع السابق، ص 81.

لأقاليم الأندلس الشرقية والجنوبية من حيث خصوبة التربة واعتدال المناخ وكثافة الغطاء النباتي مما رغب العديد من الأندلسيون في الهجرة اليها والإستقرار بها.[1]

أما العمارة والعمران فبجاية فيها جوامع كافية ومدراس ينتشر فيها الطلبة واساتذة الفقه والعلوم بالاضافة الى الزوايا للمتصوفة وحمامات وفنادق كلها صروح مشيدة حسنة البناء، وأسواقها جميلة منسقة أحسن تنسيق ولها جامع عجيب منفرد في حسنه وهو مشرف على برها وبحرها وموضوع بين سحرها ونحرها فهو غاية في الفرجة والأنس، يشرح الصدر لرؤيته واهلها يواظبون على الصلاة فيه وهذا البلد محل تجلة العلماء والأعلام وله مع حسن المنظر طيب المخبر، وبنيت بها عدة قصور منها قصر اللؤلؤة وقصر النجم وقصر اميمون، وتوسع عمران بجاية حتى بلغ الجهات العليا المحاذية لجبل قورايا، وأصبح عدد منازلها يقدر بأربعة وعشرين الف منزل تتوزع على واحد وعشرين حيا ينتشر فيها إثنان وسبعون مسجدا في مقدمتها الجامع الأعظم ومسجدا القصبة الأميري وبها عدد كبير من اماكن الدراسة والخانات والأسواق تحيط بها الأسوار العالية وتتصل بخارجها عن طريق عدة أبواب كأمسيون والمرسى اللوز والبنود والى الأسفل من بجاية يوجد المرسى وترسانة السفن وبالقرب منها الأرياض والفحوص التي اشتهر منها منزهات باب البحر والمقدسي والقصبة وبالقرب منها نهر الصومام تحف به حداق البديع والرفيع، وقد وصفه ابن سعيد المغربي (ت **685**هـ/ **1286**م) بقوله: « إنه في نهاية الحسن على شاطئيه البساتين والمنتزهات ويتفرج فيه أصحاب المراكب».[2]

وتغنى بمحاسنها الحسن بن الفقون القسنطيني (توفي اوائل القرن السابع الهجري) الذي اتخذها مقرا له بقوله:

1 – العبدري، المصدر السابق، ص 50.

2 – أبو الحسن علي ابن سعيد المغربي، الجغرافية، تحقيق وتعليق: اسماعيل العربي، الجزائر، ، 1982، ط2، ص 142.

دع العراق وبغـــداد وشامهـــــا فالناصرية ما من مثلها بلـــــــد

بر وبحر ومـــــوج للعيــون بـــه مسارح بان عنها الهـــم والنكـــد

حيث الهوى والهواء الطلق مجتمع حيث الغنى والمنى والعشيــتة الرغد

يا طالبا وصفها ان كنت ذا وصــف قل جنة الخلد فيها الأهل والولد.[1]

3- بجاية خلال العهد الموحدي والحفصي :

أ – بجاية خلال العهد الموحدي:

بعد اشتداد الصراع بين المرابطين والموحدين طلب تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين يد المساعدة والمدد من أبناء عمومته الحماديين وبالفعل وصلته امدادات الأمير الحمادي يحي بن العزيز[2]، لكن الجيش الموحدي ألحق بالجيش الصنهاجي هزيمة بموقع تلمسان كما واصلوا زحفهم نحو وهران ففتحوها وانهوا أمر المرابطين نهائيا سنة **541**هـ/**1146**م وبعدها توجهت أنظار عبد المومن بن علي الى الشرق بالضبط الى بجاية ومن بين الدوافع توجهه اليها هو اغتصاب الفرنجة لمملكة بني باديس الزيرية[3] وسقوط المهدية بيد الصقليين سنة **543**هـ/ **1148**م، فاستنجد المسلمون بالخليفة الموحدي الذي استعصى عليه محاربة الفرنجة بسبب الدولة الحمادية فكان لابد من الإستيلاء على بجاية أولا ليسهل أمر انجاد المسلمين،كانت بجاية خلال هذه الفترة تعيش مرحلة الضعف والإنحطاط بسبب فساد أمرائها وانغماسهم في اللهو والترف ناهيك عن غارات بني هلال التي زادت من ضعف السلطان الحمادي كل هذه العوامل حفزت الخليفة الموحدي على ضم بجاية والدولة الحمادية الى ملكه خاصة بعد أن تم له ملك المغرب.[4]

---

1 – ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 83.

2 – مؤلف مجهول،الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، الدار البيضاء، (د.ت)، ص 103.

3 – ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص 45.

4 – عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 278.

خرج عبد المؤمن بن علي من مراكش سنة **546**هـ/**1151**م الى بجاية بسرية تامة حتى وصل أسوار جزائر بني مزغنة وفي سنة **547**هـ/**1152**م استطاع الموحدين السيطرة على مليانة والجزائر وكان حاكمها القائم بن يحي بن عبد العزيز الذي فر هاربا الى أبيه هذا الأخير اعتاد حياة اللهو والصيد منغمسا في ملذاته ففوض أمور دولته الى وزيره ميمون بن حمدون الذي سمع بقدوم الموحدين فنهض لمواجهتم[1] واعترضت جيش الموحدين جيوش صنهاجة بأم العلوم فهزمهم وصبّح بجاية من الغد فدخلها بمساعدة الوزير بن حمدون وفتح باب بجاية للخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي.[2]

تولى بجاية مجموعة من الولاة الموحدين منهم عبد الله بن عبد المؤمن بن علي الى غاية وفاته سنة **561**هـ/**1166**م يحي بن عبد المؤمن حتى وفاته سنة **571**هـ/**1176**م ثم أبو موسى ثم اخاه أبو الربيع سليمان الى غاية سنة **580**هـ/**1183**م فبجاية خلال **21** سنة تولى عليها أربعة ولاة واتسمت أوضاعها بالإستقرار إلا أن بعض الأعيان والأسر الكبيرة البجائية رفضوا وجود المصامدة ببلادهم[3] وراسلوا بني غانية[4] يحرضونهم على حربهم ضد الموحدين وبالفعل لبى بنوغانية نداء كبار أعيان بجاية وأرسلوا جيشا قوامه منتي فارس من الملثمين وأربعة آلاف رجل[5] وأسطولا به **32** قطعة توجهوا نحو بجاية سنة **580**هـ/**1183**م أي السنة التي توفي فيها الخليفة الموحدي يوسف

---

1 – أبو محمد عبد اله بن محمد بن احمد السرجاني، رحلة التيجاني، تقديم : حسن حسني عبد الوهاب، المطبعة الرسمية، تونس، 1378هـ- 1958، ص 343.

2 – عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 278.

3 – ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص 92.

4 – بنو غانية: من أعيان الملثمين والمرابطين، امتلكوا جزيرة ميورقة احدى جزر البليار أو الجزائر الشرقية، واول ملوك جزر البليار إسحاق بن محمد بن غانية، وبعد وفاته خلفه ابنه علي بن اسحاق بن محمد بن غانية حتى وفاته سنة 600هـ الذي هاجم قواعد الموحدين منطلقا من جزيرة ميورقة. أنظر: عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس الى آخر عصر الموحدين ، تحقيق: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، 1426هـ – 2006م، ط1، ص 243.

5 – ابن الاثير، المصدر السابق، ج11، ص 508.

بن عبد المؤمن بن علي ووجدوا شاطئها شاغرا من الجيش فحط أسطولهم بها وانفرد علي بن غانية بأهل بجاية وخطب من فوق المنبر معلنا ولاه للعباسيين أما أبو الربيع سليمان حينما سمع بخبر سقوط بجاية جهز العدة والعتاد لتخليصها من الغزو فالتقى الطرفان بموضع يعرف بلميول ودارت بينهما معارك دامية انتهت بهزيمة الموحدين وكان ردة فعل الخليفة يعقوب المنصور أن جهز جيشا قوامه **20** ألف فارس وفوض أمره الى ابن عمه أبي زيد بن ابي حفص الذي تعاون مع القائد أحمد الصقلي قائد الأسطول في البحر فتم لهما تحرير كل المدن التي خضعت لبني غانية سنة **584**هـ/**1186**م وفي نفس السنة نزلوا على بجاية وفي سنة **601**هـ نهض الخليفة الناصر لمحاربة ما بقي من بني غانية وعقد لأبي عبد الواحدبن أبي حفص الهنتاني جد الحفصيين على افريقية لمطاردة واجلاء بني غانية منها، حافظت بجاية على مكانتها على عهد الدولة الموحدية (**546**هـ-**628**هـ/**1152**م-**1230**م) فكانت قاعدة للموحدين ببلاد المغرب الأوسط.[1]

ب – بجاية خلال العهد الحفصي:

تعد سنة **609**هـ-**1212**م منعطفا حاسما في تاريخ بلاد المغرب الإسلامي إذ انهارت دولة الموحدين وظهرت على انقاضها الدويلات الثلاث، فظهرت دولة بني حفص في المغرب الأدنى ودولة بني زيان في المغرب الأوسط بني مرين في المغرب الأقصى وسعت كل واحدة منها لبناء صرحها الحضاري على حساب الأخرى.[2]

يرجع الحفصيون في نسبهم الى شعبة هنتانة[3] وهي شعبة كبيرة من قبيلة المصامدة أكبر قبائل المغرب الإسلامي وأقواها وكان شيخ شعبة هنتانة أبي حفص عمر بن يحي ورجالات قبيلته

1 – ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 83.

2 – فرحات محمد ابراهيم كبار، الهجرات الأندلسية الى بلاد افريقية في العهد الحفصي (625هـ932هـ/1222م)، مجلة العلوم والدراسات الإنسانية، جامعة بنغازي، 2016، العدد 27، ص 03.

3 – هنتانة: من اكبر القبائل المصامدة موصوفة بالكثرة والبأس موطنهم جبال الدرن والجبل المتاخم لمراكش، أنظر: عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 372.

من اوائل مناصري دولة الموحدين وانتظم أخلافه من بني حفص في سلك كبار الولاة والقادة بالمغرب والأندلس لدولة الموحدين.[1]

بعد مقتل الخليفة الموحدي العادل بمراكش سنة **624**هـ بويع من بعده أخوه ادريس الملقب بالمأمون، لكن مشيخة الموحدين نكثوا بيعته وبايعوا يحي بن محمد الناصر بن العادل أثار هذا الإختلاف اضطرابا في الحكم لوجود طرفان يحكمان في مقام واحد لينتهي النزاع بسيطرة المأمون على زمام الأمور ومن بين من رفض مبايعته عبد الله بن حفص الهنتاني والي تونس فقام المأمون بعزله عن الولاية وولى اخاه أبا زكرياء الذي كان واليا على قابس وابتداء من سنة **625**هـ-**1228**م أصبح واليا على تونس هذا الأخير سارع بالإقلاع عن الولاء للمأمون سنة **626**هـ-**1229**م بعد تمادي هذا الأخير على عوائد الموحدين فمثلا أنكر مذهب بن تومرت كما وضع العقائد ونداء الصلوات بلسان بربي فحول أبو زكرياء دعوته الى يحي بن محمد الناصر ابن العادل بالإضافة الى تلقبه بالأمير وبعد التفاف الرعية حوله عقد لنفسه البيعة وبهذا أعلن رسميا انفصاله عن دولة الموحدين وقيام الدولة الحفصية، توجه أبو زكرياء الى بجاية التي كان بها أبو عمران بن ابي عبدالله الخرصاني وتم لأبي زكرياء فتحها موليا عليها ابن عمه علي مؤقتا واعتقل واليها وبعث به الى اشبيلية بالأندلس[2] وبهذا انقطع وجود بني عبد المؤمن من بعدما اعتقل آخر ولاتها وتمكن أبو زكرياء من بسط سيطرته على البلاد وامتدت بذلك الدولة الحفصية شرقا من الجزائر العاصمة الى عقبة التي تفصل طرابلس عن برقة غربا كان يحدها شمالا البحر الأبيض المتوسط وجنوبا بلاد الجريد.[3]

خلف أبو زكرياء ابنه يحي على بجاية وأعمالها وجعل معه جملة من المعاونين له وتميز يحي بحيه للعدل وغزارة عمله وحسن تدبيره ما اهله أن يسير شؤون بجاية على أحسن وجه، كما انتشرت شهرة بجاية في عهده وانتعشت تجارتها وتوسعت علاقاتها واستمر ازدهارها الى غاية وفاة صاحبها

1 - مؤلف مجهول، الحلل الموشية، المصدر السابق، ص 194.

2 - عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 336.

3 - ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص 391.

يحي سنة **646**هـ/**1249**م بعد ما خطب له والده على جميع منابر افريقية بولاية العهد وبعد سنة من وفاته توفي والده أبو زكرياء بعد ما حزن عليه حزنا كبيرا اعتلى عرش الدولة من بعده ابنه ابي عبد الله محمد الملقب بالمنتصر بالله ويعتبر أول من لقب نفسه من أمراء الحفصيين بالخليفة وأمير المؤمنين كما نجح في جعل نفسه وريثا للخلافة العباسية بعد حصوله على وثيقة اصطلح عليها أشراف مكة بعد سقوط بغداد على يد التتار.[1]

و في سنة **650**هـ-**1253**م تحرك الأمير المستنصر بالله الى بجاية التي أدهشته معالمها وآثارها وعين عليها أبو الهلال عياد بن سعيد الهنتاني ثم خلفه ابنه محمد، توفي الخليفة الحفصي المنتصر بالله سنة **675**هـ/**1277**م مخلفا وراءه عصرا ذهبيا لبجاية وغيرها من المدن الحفصية تولى من بعده ابنه يحي الواثق هذا الأخير إستوزر الأندلسيين بدلا من الهنتانيين، فكان منطقيا أن نلحظ تدفق اعداد كبيرة من الجالية الأندلسية التي استقرت بشكل مكثف في الحواضر الساحلية بما فيها بجاية العاصمة الثانية للسلطنة الحفصية وأحيانا مدينة منافسة لها وليس أدل على ذلك من شهادة بن خلدون سليل أسرة عربية استقرت بالأندلس لتجد نفسها نتيجة ظروف معنية احدى أبرز الأمر النازحة الى افريقية حيث لخص لنا ذلك في كتابه العبر بالقول :« لما تكالب الطاغية على العدوة والتهم ثغورها واكتسح بسائطها واسف على قواعدها وامصارها أجاز الأعلام واهل البيوت الى أرض المغرب وافريقية».[2]

وكانت هذه الجموع من الكثرة بحيث استطاعت ان تفرض نفوذها في البلاط والإدارة وحتى في الحياة العامة وان تتمكن من احداث تغيرات حاسمة في مجالات مختلفة في بجاية.[3]

1 – التتار: ينتسبون الى المغول بآسيا الصغرى. أنظر: أحمد مختار العبادي، في التاريخ الأيوبي والمملوكي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (د.ت)، ص 137.

2 – عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 438.

3 – أسيا ساحلي، المرجع السابق، ص 100.

حافظت بجاية على مكانتها فقد كانت العاصمة الثانية للحفصيين (**628**هـ/**943**هـ-**1230**م/**1536**م)، فهي تأتي في درجة ثانية بعد مدينة تونس وتتفوق عليها من حيث امكانياتها الإقتصادية وحصانتها الطبيعة وارتباطها مباشرة بالأندلس، وهذا ما جعل مؤسس الدولة الحفصية أبوزكرياء يحي الأول (**625**-**647**هـ/**1228**م-**1249**م) يولي بجاية عنابة كبيرة فتوسع عمرانها وانتشر العلم بها حتى أصبحت تنافس حاضرة تونس لا سيما على عهد السلاطين الحفصين الأوائل وهم محمد المنتصر بالله (**647**هـ-**675**هـ/**1249**م-**1277**م) ويحي الواثق بالله (**675**هـ-**678**هـ/**1277**م-**1279**م) وأبو اسحاق ابراهيم (**678**هـ-**683**هـ/**1279**م-**1284**م) وعمر المنتصر (**683**هـ-**694**هـ/**1284**م-**1295**م) فأصبحت بجاية تحكم من طرف ولي العهد المرشح لتولي العرش الحفصي.[1]

4 – استقرار الأندلسيين ببجاية :

لقد بدا التواجد الأندلسي في المغرب الأوسط خلال القرون الخمسة الأولى بشكل محتشم، وضُعْفُ الهجرة الأندلسية بشكليها الدائمة والمؤقتة الى المغرب الأوسط ما بين القرنين **2** و**5** هـ/**8** و**11**م يعود أساسا الى المناخ العام الذي كان يخيم على هذا الفضاء بسبب قلة مراكزه العمرانية المتحضرة العلمية منها والسياسية المستقطبة للكفاءات العلمية والإدارية، فرغم وجود تيهرت (عراق المغرب)، طيلة القرنين **2** و**3** هـ/ **8** و**9**م كأحد أشهر الحواضر العلمية في المغرب الإسلامي، إلا ان طبيعة الدولة الرستمية بإديولوجيتها الإباضية حالة دون امتزاجها في ثقافة الفضاء المذكور، بل كان ارتباطها الثقافي والروحي وثيق العلائق بالجناح الشرقي للمغرب(جبل نفوسة تحديدا)، والمشرق الإسلامي[2]، عكس العلاقات السياسية والإقتصادية المتميزة التي كانت تربطها الإمارة الاموية في الأندلس، اما مدينة المسيلة التي ازدهرت خلال النصف الثاني من القرن **4**هـ/**10**م في عصر إمارة

1 – ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 83.

2 – مسعود مزهودي، جبل نفوسة منذ انتشار الإسلام حتى هجرة بني هلال لبلاد المغرب، منشورات مؤسسة تاوالت الثقافية، ليبيا، 2003، ص 65.

بني حمدون (**315**هـ-**361**هـ/**927**م/**971**م) تحت ظل الفاطميين، فلم تستقطب الكثير من الأندلسيين على الأقل كما تصوره المصادر التاريخية، رغم ان امراءها اصلهم من باجة الأندلسية ، وربما غطت شهرة الشاعر ابن هانئ الألبيري (ت **362**هـ/**972**م) على بقية بني بلده، في حين ان الظروف السياسية المتقلبة للقلعة الحمادية المتمثلة في صراعات البيت الحاكم فيما بينه وبين أبناء عمومته من زيري افريقية ثم مع عرب بني هلال، كل ذلك ألقى بظلاله على استقرارها، مما ادى الى عزوف الأندلسيين على ورودها او الإستقرار فيها، مع كونها لم تستطع ان تكسب رهان المنافسة مع القيروان وفاس في عملية الإستقطاب تلك، اما مدن الساحل ومراسيها النشطة تجاريا كمرسى الخرز وبونة وتدلس وجزائر بني مزغنة وتنس ووهران وارشقول وغيرها شهدت ديناميكية ملحوظة بفضل وجود الاندلسين واسستقراراهم بها منذ نهاية القرن **2**هـ/**8**م، والفضل يعود لهم في تأسيس بعضها كتنس سنة **262**هـ/**875**م ووهران سنة **290**هـ/**902**م، واعادة تأسيس أسلن الواقعة شرقي أرشقول وفكان وتدلس، لكن تفتقر الى المادة الخبرية الكفيلة برصد هذه الجالية، او اولئك البحارة والتجار، ولا نملك حتى مجرد أسماء اعيانهم الا ما ندر، لأن كتب التاريخ والتراجم لا تؤرخ لمثل هؤلاء، اما هجرتهم الكثيفة نحو المغرب الأوسط فبدأت في القرن السادس الهجري بعدما اخذت الأندلس تسير نحو مصيرها المحتوم، منذ ان سقطت طليطلة سنة **478**هـ.[1]

لقد كان الأندلسيون يختارون الإستقرار في مدن المغرب الاوسط، وتحديدا عَوَاصِمَهُ العلمية والسياسية أكثر من غيرها كتلمسان وبجاية بدرجة اولى لما توفره هاتان المدينتان من فرص الإحتكاك بالعلماء من جهة وأعيان ووجهاء الدولة من جهة أخرى والإستفادة من مزايا السلطة المتمثلة في المناصب السامية، وهناك تناسب واضح بين عدد الأندلسيين الوافدين الى المغرب الاوسط ابتداء من القرن **6**هـ/ **12**م الى القرن **9**هـ/**15**م وبين عدد الوافدين منهم على المدينتين المذكورتين اللتين شهدتا حراكا ثقافيا وحضاريا على أوسع نطاق ممكن، أي أيام الموحدين

1 – رفيق خليفي، البيوتات الأندلسية في المغرب الأوسط من نهاية القرن 3هـ الى نهاية القرن 9هـ، مذكرة ماجيستر، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 1428هـ-1429هـ/2007-2008م ص 98.

وخلفائهم الحفصيين والزيانيين وأصبحتا تتصدران قمة الهرم للمراكز العلمية والسياسية للمغرب الإسلامي.[1]

ومن الملاحظات الهامة حول التوزيع الجغرافي للأندلسيين في المغرب الأوسط هو ان الغالبية المطلقة من الوافدين يستقرون في المدن فلا نكاد نجد لهم أثرا في القرى والأرياف وذلك لأسباب عديدة منها أن هؤلاء الوافدين من النخبة لا يتأقلمون مع حياة الريف البدوية كعائق ذاتي نابع من تكوينهم النفسي والعقلي ولانهم نزحوا من مدن عريقة في الحضارة، فلم يكن من السهل أن يتنازلوا عن الحضر ويندمجوا في مجتمع الريف ولان الريف لا يوفر الفرص والوظائف التي يطمحون لها من تولي مناصب القضاء، والتعليم والخطابة، والكتابة وما علا شأنه[2]، وحتى من نزح من أرياف الأندلس ولم يكن يملك من المؤهلات العلمية ما يحذو به حذو النخبة فإن تركيبة النظام الريفي في المغرب الاوسط لا يسمح له بالعيش والإستقرار فيه ذلك ان الأراضي في الريف هي ملكية جماعية ذات طابع قبلي تنتقل ملكيتها بين أفرادها فقط في حين ان الوافد يستطيع في المدينة ان يكتري أرضا او محلا لممارسة حرفة ما.[3]

استقطبت بجاية اعداد معتبرة من العناصر الأندلسية والتي استقرت بالمدينة إما بصفة مؤقتة او دائمة[4]، فقد استعان الموحدون في تنظيم شؤون دولتهم المترامية الاطراف بالخبرات الاندلسية، وهذا ما اكده بن خلدون في مقدمته حيث ذكر ان المغرب الإسلامي انتقل اليه منذ دولة

1 – رفيق خليفي، المرجع السابق، ص .101

2 – محمد فتحة، النوازل الفقهية والمجتمع، ، منشورات كلية الآداب، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء ، 1999، ص 349.

3 – آسيا ساحلي، المرجع السابق، ص98.

الموحدين من الاندلس حظ كبير من الحضارة واستخدمت به عوائدها بما كان من الإستيلاء على بلاد الأندلس وانتقل الكثير من اهلها اليهم طوعا وكرها.[1]

كما اعتمد ولاة الحفصيين ببجاية على العنصر الأندلسي[2]، فحدوا من نفوذ الاسر العريقة التي لها سابقة مع الموحدين او صلة بالقبائل الجبلية بنواحي بجاية، وقد ساعد على ذلك مناصرة الولاة الحفصيين للعنصر الاندلسي، هذا وتعود صلة الأندلسين بالحفصين الى ما قبل ظهور الدولة الحفصية فقد كان لأبي زكرياء بن عبد الواحد بن أبي حفص مؤسس الدولة صلة وثيقة بالأندلسيين منذ ان كان حاكما لإشبيلية ومتوليا على غرب الأندلس من قبل الموحدين وقد أدى ذلك الى إزدياد النفوذ الأندلسي وانكماش جماعة الموحدين من مراكز الدولة الحساسة لفائدة الأندلسين بالبلاط الحفصي بتونس وبجاية، بعد ان أبعد مقدمة مشيخة الموحدين محمد بن أبي محمد الهنتاني من مهام وتسيير الدولة وتولى مكانه محمد بن أبي الحسن زعيم جناح الأندلسيين[3]، حيث فاق عدد الأندلسيين الذين تقلدوا الولاية والحجابة والوزارة في بجاية عدد أصلاء البلد بأضعاف مضاعفة، بل كادت هاته المناصب الثلاث تكون حكرا عليهم، حيث ارتقت سبعة شخصيات اندلسية منصب الحجابة في بجاية في ظرف نصف قرن، مقابل صنهاجي بجائي واحد، وهذا ماحدا بالبعض أن يخاطبهم على قدم المساواة مع السلطان الحفصي كما تشهد به نصوص المعاهدات المبرمة بين الجمهوريات الإيطالية والدولة الحفصية[4]، أما الكتاب الأندلسيون فقد بدأ الإعتماد عليهم لما كانوا بشكل كثيف خلال العهد الوحدي واستمر كذلك في العهد الحفصي لما

1 – أبوزيد عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، تحقيق: عبد السلام الشدادي، خزانة ابن خلدون، بيت العلوم والفنون والآداب، الدار البيضاء، المغرب، 2005، ط1، ج2، ص 225.

2 – العبدري، المصدر السابق، ص 24.

3 – ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 84.

4 – عبد الرحمان بن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص

يتميزون به من فصاحة اللسان وسحر البيان وبراعة التعليم[1]، اما نسبة المشتغلين بالتعليم والتدريس فهي الاكبر لاتساع نطاق المهنة في حد ذاتها.[2]

.

.

1 – محمد طاهر توات، أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنين السابع والثامن هجري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993، ص110.

2– رفيق خليفي، المرجع السابق، ص 102.

الفصل الأوّل

الحياة الإجتماعية والإقتصادية للأندلسيين في بجاية خلال العهد الموحدي والحفصي

- الحياة الإجتماعية للأندلسيين في بجاية
- الحياة الإقتصادية للأندلسيين في بجاية

المبحث الأول: الحياة الإجتماعية للأندلسيين في بجاية

1- أهم البيوتات الأندلسية في بجاية:

يعود ظهور البيوتات الأندلسية ببجاية الى العهد الحمادي بداية من القرن السادس الهجري مع أسرة بني حمدون الثانية التي تولت مقاليد الوزارة وقيادة الجيش ومع ازدياد الوافدين الأندلسيين اليها خلال العهد الموحدي والحفصي برزت العديد من البيوتات والتي رغم قلتها إلا أنها لعبت دورا بارزا وخطيرا في بجاية خلال هذه الفترة خصوصا فيما تعلق بالجانب السياسي حيث استطاعت وبفضل طموح أفرادها التحكم بزمام الأمور واطباق سيطرتها على مقاليد الحكم خلال العديد من فترات السلطنة الحفصية ببجاية ومن أبرز هذه البيوتات:

أ – بيت ابن عمر الأنصاري:

ينتسب ابن عمر الأنصاري الى أبذة احدى مدن كورة جيان هاجر الى بجاية في القرن السادس الهجري ويرجح أن يكون اشتغل بالتجارة هو وابنه احمد[1].

قامت شهرة البيت العمري على يد عبد الحق المكنى بأبي محمد ولد ببجاية ونشا بها، قرأ على شيوخها وعلمائها حيث يقول:« أدركت ببجاية ما ينيف عن تسعين مفتيا»، وفي الترجمة الوحيدة التي كتبها الغبريني عن عبد الحق بن الربيع اهمل فيها ذكرى شيوخه الذين أخذ منهم، اكتسب ابن الربيع في مسيرته العلمية مهارات ومعارف عديدة فقد نبغ في الفقه والمنطق والحساب، والفرائض والتصوف، تقلد عدة وظائف، فقد تخطط بداية بالعدالة التي اصبحت لصيقة بشخصه، كما اشتغل بكتابة الوثائق.[2]

1 – أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق عادل نويهض، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، (د.ت)، ط2، ص 86.

2 – نفسه، ص 89.

ب- بيت بن سيّد الناس:

ينتسب بن سيد الناس الى يعمر بن مالك بن بهتة بن حرب بن وهب بن حلى بن احمس بن ضيعة بن ربيعة الفرس بن نزار بن معد بن عدنان، وكان موطنهم يتركز في منبج بالشام، ومع جيوش الفتح الإسلامي وطلائعه في المغرب والأندلس نزحوا الى كورة جيان واستقروا بإحدى مدنها.[1]

يذكر بن خلدون أن أبو بكر بن سيّد الناس نزح من الأندلس لمآ رأى إختلال أحوالها وقبح مصائرها فأجمع الرحلة عنها[2]، ولما وصل الى بجاية، عمل الإشبيليون على التنويه بفضله ودينه، وذلك لإقناع أصحاب القرار في بجاية الحفصية على تقريبه بتوليته صلاة الفريضة والخطابة بالجامع الأعظم والإقراء في منزله، فقد تخرج على يديه الكثير من طلبة العلم.[3]

لمعت مكانة ابن سيّد الناس في بجاية بقوة الميراث العلمي الذي اكتسبه البيت اليعمري في أبذة واشبيلية فقد استدعاه السلطان الحفصي المنتصر بالله (**647**هـ/**675**هـ) الى تونس، وخصه بحضور مجالسه وولاه خطابة الجامع الأعظم[4]، لكن لم تطل حياته كثيرا في تونس وتوفي بعد خمس سنوات من نزولها يوم **23** جمادى الآخرة **657**هـ.[5]

كان لبني سيّد الناس دور كبير في انفصال بجاية عن العاصمة تونس، فقد استطاع أبو الحسين بن سيّد الناس أن يغري الأمير أبي زكرياء بالحرب على السلطان الحفصي أبو حفص سنة **685**هـ، كما استطاع بفضل فطنته حنكته أن ينتزع منه تفويضا يطلق يده في التصرف وضبط

1 - أبو الفتح اليعمري، أجوبة ابن سيد الناس، تحقيق: محمد الرواندي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1410هـ-1990م، ص 262.

2 - عبد الرحمان بن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص 438.

3 - رفيق خليفي، المرجع السابق، ص 244.

4 - الغبريني، المصدر السابق، ص 247.

5 - نفسه، ص 249.

أمور الدولة، حيث تولى الحجابة، توفي ابن سيّد الناس سنة **690**هـ بعد ان احدث شرخا في الدولة الحفصية ومهد لحركات الإستقلال والإنفصال فيها.[1]

غير ان هذا البيت انهى مجده السياسي عندما استولى السلطان المريني أبي عنان سنة **753**.[2]

ج – بيت ابن خلدون:

ينتسب هذا البيت الى احد الصحابة الأجلاء وهو وائل بن حجر الكندي الحضرمي اليمني وهو الذي قَدِم على النبي صلى الله عليه وسلم زعيما على قومه في عام الوفود في السنة العاشرة للهجرة وبسط النبي (ص) ردائه الشريف لوائل وأجلَسَهُ عليه وقال: «اللهم بارك في وائل بن حجر وولده وولد ولده الى يوم القيامة».[3]

دخل الحفيد السابع لهذا الصحابي الجليل بلاد الأندلس وهو خالد بن عثمان وسمي خالد وهو على الطريقة الأندلسية يعرف بخلدون.[4]

استقر ابن خلدون بإشبيلية منذ النصف الأول من القرن الثالث للهجرة ولم يبارحها إلا قبيل سقوطها بيد النصارى في سنة **646**هـ وكان أول الداخلين الى العدوة المغربية الحسن بن محمد الجد الثالث للمؤرخ عبد الرحمان وقد كانت العلاقات طيبة بين هذا البيت الأندلسي وبين الشيخ أبي الحفص زمن ولايته لإشبيلية من قبل الموحدين، ثم مع من جاء بهذه من خلفائه والتي وصلت الى حد المصاهرة.

---

1 – روبار برونشفيك، تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن 10 الى القرن 13م، ترجمة حماد ساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ج1، ص 140.

2 – عبد الرحمان بن خلدون، العبر، ج6، المصدر السابق، ص 500.

3 – ابو زيد عبد الرحمان ابن خلدون: رحلة ابن خلدون، مراجعة محمد تاويت الطنجي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1425هـ- 2004، ص 28.

4 – نفسه، ص 29.

ذلك كله كان يسهل لبيت ابن خلدون الإستقرار قريبا من السلطة الحاكمة والإنتظام في سلكها وفي زمن السلطان أبو اسحاق لما فوض ابنه وولي عهده الأمير أبي فارس إدارة بجاية في سنة **679**هـ عين لحاجبته ابن صاحب أثقاله وهو محمد بن أبي بكر بن خلدون والذي سيكون له في هذه الرقعة المهمة من المغرب الأوسط شأن كبير خاصة مع علو مرتبه من جانب ومن جانب آخر تفجر الفتن والصراعات والثورات التي كادت تقضي على الحكم الحفصي والتي أثبت ابن خلدون الحاجب قدرة وكفاءة عالية في معالجتها.[1]

2- خصوصية الأندلسيين في المجتمع البجائي :

عُرِفَ عن الاندلسيين حفاظهم الكبير على خصوصيتهم داخل المجتمع البجائي فتميزت عاداتهم وتقاليدهم عن بقية سكان بجاية الذين تأثروا بهم الى حدّ ما كما كان الأندلسيون ميالين الى الإنعزال والإنطواء وظهر مصطلح رأس الجماعة الأندلسية ببجاية للدلالة على مجتمع قائم بحد ذاته.

أ – العادات والتقاليد:

احتفظت الجالية الأندلسية بعاداتها وتقاليدها فيما بينها وداخل مناطق اقامتها وظلت تحتفظ بذاتيتها وسماتها وخصائصها[2] ومن بين تلك الخصوصيات اهتمام الأندلسيين الكبير بشكلهم واناقتهم حتى قال فيهم لسان الدين بن الخطيب «... كأنهم الأزهار المتفتحة في البطاح الكريمة تحت الأهوية المعتدلة...»[3]، ومن بين الألبسة التي اشتهروا بها الملف وهو قطعة من القماش حول نصف الجسد الأعلى ويطرح طرف منها على الكتف وهي ملونة وتختلف ألوانها

1 – عمارة سيدي محمد، هجرة الأندلسيين الى بلاد المغرب الأوسط خلال القرن (7هـ/13م) و دورهم الثقافي، مذكرة ماجيستير ، جامعة وهران السانيا، 1433-1444هـ/2012-2013م، ص65.

2 – عبد المجيد قدور، الهجرة الأندلسية الى المغرب الإسلامي ونتائجها الإجتماعية والحضارية، الجزائر كنموذج، مجلة العلوم الإنسانية، العدد20، 2003، ص 175.

3 – لسان الدين بن الخطيب، المصدر السابق، ج1، ص 35.

بحسب الثروة والمكانة كما كانوا يلبسون اللباس المغربي المعروف اليوم بالجلابة[1]، وإن كان هناك تأثير اندلسي في هذا المجال فهو يعود الى حب التقليد الذي لا يحتاج الى الإختلاط المباشر بين الفئات كالتقليد في الملابس وطرق المعيشة في البيوت التي تتعلق بالأكل والجلوس وتزيين المساكن وتأثيثها[2]، أما النساء فكن يبالغن في التفنن بزينتهن ويتنافسن في اقتناء الحلي وانواع الجواهر.[3]

وعرف عن الأندلسيين كذلك العناية بنظافة اجسامهم وثيابهم لدرجة انه كان البعض منهم يبيع كل ما عنده ليقتات به في ذلك اليوم ليشتري به صابونا ليغسل ثيابه وعرفوا أيضا بالإِحْتِيَاطِ وحسن التدبير في المعاش وحفظ ما بأيديهم خوفا من ذل السؤال ولذلك كثيرا ما كانوا يوصفون بالبخل.و بعد الهجرات الاندلسية المتتالية بقي الأندلسيين محتفظين بتلك العادات ومحافظين على نمط حياتهم ومعيشتهم لا سيما داخل البيوت واهمها طريقة تحضير الطعام واللباس، ومشاركة المرأة مجالس الرجال والحديث معهم كما احتفظوا بفنونهم وحرفهم[4] وقد تأثر سكان المغرب الأوسط كثيرا بتلك العادات والخصائص المميزة للأندلسيين سواء تلك المتعلقة بالأكل واللباس فاخذو عنهم طرق طبخ العديد من الاطعمة والحلويات وكذلك ظاهرة الإعتناء بالبساتين والمنتزهات وامور أخرى[5]، ولعل الأمر الذي قلل من التأثيرات الأندلسية في مجال العادات والتقاليد هو النظام العشائري لسكان المغرب الأوسط الذي كان لا يسمح بالإختلاط فظلت القبائل البربرية بجبال جرجرة تحافظ على تراثها الموروث.[6]

1 – لسان الدين الخطيب، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1980، ط2، ص 39.

2 – عبد المجيد قدور، المرجع السابق، ص 175.

3 – لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة، المصدر السابق، ج1، ص 38.

4 – ليفي بروفنسال، حضارة العرب في الأندلس، ترجمة: دوقان قرقوط، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت)، ص 30.

5 – عبد القادر بوحسون، العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس خلال العهد الزياني، (633هـ-962هـ/ 1235-1554م) مذكرة ماجيستر، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2008، ص 130.

6 – عبد المجيد قدور، المرجع السابق، ص 176.

ب – نظام الجماعة الأندلسية:

عرف الأندلسيون بالتضامن الإجتماعي الذي كان يقرب بينهم ويحفظ مصالحهم نظرا لإحساسهم بالأصل المشترك والنسب الواحد في دار هجرتهم ولعل هذا ما جعلهم يشكلون طبقة متميزة في المجتمع البجائي في القرنين السادس والسابع الهجريين الثاني عشر والثالث عشر للميلاد عرفت بجماعة الأندلسيين وكان لها حضوة لدى الحكام وتأثير على سلوك عامة الناس[1] هذا ما أشار اليه الغبريني بقوله: «كان الناس ببجاية على اجتهاد وكان الامراء لأهل العمل على ما يليق ويراد »[2] وقد كان تأثير جماعة الاندلسيين من القوة والفعالية بحيث اكتسبت بجاية طابعا اندلسيا حتى عدت من حواضر الاندلس ولم يماثلها في ذلك ببلاد المغرب الأوسط سوى تلمسان التي استقطبت هي الأخرى أعدادا كبيرة من الأندلسيين[3]، كما ذكر الغبريني أن لهذه الجماعة رئيسا يمثلها ويتكلم بلسانها وتجتمع عنده في بيته لتبحث معه همومها وتجدد وفاءها للإنتماء الأندلسي ثقافة وهوية وقد سماه برأس الجماعة الأندلسية[4]و هو العالم ابن محرز البلنسي (ت **655**هـ– **1257**م) تعبيرا عن مجتمع قائم بذاته يخضع لتنظيم ديناميكي غير معلن داخل هذا المدينة.[5]

ومن الواضح أن مصطلح الجماعة الأندلسية يحمل بعد اسيولوجيا ولهذا ذكره الغبريني بلفظه الإصطلاحي الإجتماعي، مما يدل على عنصر سكاني في مدينة بجاية له خصوصياته وانماط عيشه وعاداته وتقاليده في المطعم والملبس وطريقة الحياة[6]، كما برز الأثر الأندلسي واضحا بمجتمع بجاية في عادات السكان وطريقة حياتهم ولغة تخاطبهم فانحصرت اللهجة المحلية (القبائلية) لترك مكانها

1 – ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 85.
2 – الغبريني، المصدر السابق، ص 85.
3 – ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 85.
4 – الغبريني، المصدر السابق، ص 242.
5 – رفيق خليفي، المرجع السابق، ص 96.
6 – روبار برونشفيك، المرجع السابق، ج1، ص 217.

للعربية الأندلسية رقيقة المخارج لطيفة العبارات الغنية بالمفردات ولعل من اوضح مظاهر التطبع الأندلسي هو دماثة خلق سكانها ولطف معشرهم ورقة شعورهم.[1]

ج- ميل الأندلسيين للإنعزال:

إن الجماعات الأندلسية انعزلت لحدما وكونت لنفسها جماعة مستقلة تنتسب اليها وبالطبع فالإنعزال لا يعني التفرقة دائما فإلى حدما يعني التنظيم والتحام الشمل[2]، ولم يكن الأندلسيون ميالين الى الإختلاط والإمتزاج بغيرهم وكانوا يعتبرون أنفسهم أرقى حضارة وألطف اخلاقا من أهل البلاد وهذه العوامل حالت دون سهولة التزاوج والمصاهرة بين الأندلسيين واهل البلاد الأصليين[3]، اما الباحث التونسي محمد حسن فيعلل لنا أسباب هذا الانعزال بأنه راجع الى الشعور بالغربة وما تقترن به من احساس بالأنفة والعلو وشرف الإنتماء وهو ما اودى بحياة الكثيرين من أفراد البيوتات الأندلسية، ولهذا تعالت صيحات العديد من الباحثين المعاصريين لشجب واستنكار السلوكات الإنتهازية التي حملها الأندلسيون معهم الى بلاد المغرب الإسلامي بعدما أضاعوا بلادهم وخرجوا منكوبين من وطنهم ومشاهدتهم لانتصار المسيحيين عليهم كل هذا كان من شأنه أن يوقظ فيهم الضمائر ويدعوهم الى حفز الهمم ويجعل منهم حزب يقظة واصلاح ولكن كان كلما ما فكرت فيه بعض الجاليات الأندلسية ولاسيما أصحاب الأقلام منهم أن يحتلبوا من بلاط بجاية ما تعودوا احتلابه من بلاطات الأندلس وبهذا فقد حمل الأندلسيون في حقائبهم المرض الذي منه ماتت الأندلس فزادو بلاط المغرب الإسلامي السياسي مرضا على مرضه[4]، كل هذا في الوقت الذي عرفت فيه اوروبا انفجارا عظيما ومدا اقتصاديا عارما ونهضة عمت جميع الميادين في الوقت الذي كان فيه ملوك اسبانيا يضعون الخطط لإعادة المغرب الإسلامي الى حظيرة

1 – ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 85.

2 – نصيرة عزرودي، المرجع السابق، ص 52.

3 – عبد المجيد قدور، المرجع السابق، ص 175.

4 – محمد طالبي، الهجرة الاندلسية الى افريقية أيام الحفصيين، مجلة الأصالة، العدد 24، 1975، ص 61.

النصرانية منتهجين سياسة واعية وإن لم تحقق كل أهدافها المعلنة والخفية وبهذا يمكن القول بأن لأندلسيين لم يكن دورهم آنذاك دورا ايجابيا في هذا المجال، غير اننا لو تقبلنا هذا الحكم على الأندلسيين من قبل بعض الباحثيين فإننا بالضرورة لن نعمم هذه النظرية السلبية عليهم فهي انطبقت الى حد كبير على فئة العسكريين والسياسيين ولا يعني تعميمها على كل الفئات التي قصدت المغرب من صناع وعلماء ومتصوفة.[1]

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على انعدام الشعور بالمسؤولية نحو الدولة والأمة وفقدان مفهوم الإخلاص ماعدا الإخلاص لشخص أو عائلة، وهو عندها مهما يكن الأمر لا يحول دون الإحساس بشعور قوي بعدم الأمن تولدت عنه عقلية انتهازية[2]، ولقد تمكنت هذه العقلية الإنتهازية من طبيعة أهل الأندلس الجانحة دائما الى الثورة والإستقلال، وعادة ما كان أبناء الجالية الأندلسية يصلون بفضل مكانتهم العلمية والأدبية، ولكن الاندلسي سرعان ما يجد ان الرغبة تعتريه من جديد للإستحواذ على ما هو اكثر من ذلك، وتحركه رغبة في البحث عن ذاته وطبيعته المائلة دائما نحو الإستقلال، ومن هنا يبدأ الصدام مع الآخر وتكثر الوشايات وتبدأ معها النكبات.[3].

1 – نصيرة عزرودي، المرجع السابق، ص 52.

2 – محمد طالبي، المرجع السابق، ص 63.

3 – نصيرة عزرودي، المرجع السابق، ص 51.

المبحث الثاني: الحياة الإقتصادية للأندلسيين في بجاية

1- الزراعة:

في الواقع في الناحية الفلاحية بمدينة بجاية لا نجد مستندات تاريخية تكشف لنا حالة الزراعة بهذه المدينة، فضلا عن إسهامات الأندلسيين في تطويرها، ولكن يمكن استكشاف بعض النشاطات الزراعية في هذه المدينة من خلال الاستعانة بما سجله الجغرافيون في كتبهم، حيث أنّ الإدريسي ذكر أنّ لهذه المدينة واد ومزارع وأن من أكثر المحاصيل وفرة الشعير والحنطة والتين وأنواع الفواكه الأخرى وأشار إلى وجود نهر كبير يجري بجوارها[1]، وقد أشار صاحب الاستبصار إلى وجود البساتين الكثيرة التي تحيط بها العيون والأنهار في هذه المدينة، والأراضي المسقية بنواعير بمحاذاة الأنهار[2]، أما مارمول كارفجال فيصف مدينة بجاية بأنها حصينة ذات أسوار عالية حولها بساتين خاصة من الجهة الشرقية، وبالقرب منها أشجار وغابات كثيفة، وهي ذات موقع استراتيجي مهم يجعلها منطقة زراعية غزيرة الإنتاج[3].

ومما طوّر هذا الجانب هو اهتمام علماء بجاية بالجانب الفلاحي، حيث جابوا أقطار الإمارة للبحث عن أنواع النباتات الطبية والأزهار الجيدة، ويقول في هذا الصدد ليون الإفريقي: «توجد حول المدينة بساتين لا تحصى مملوءة بأشجار مثمرة وهي كثيرة من جهة الباب الذي يطلّ على الشرق» وبفضل السياسة التي انتهجها أمراء بجاية نُظمت الفلاحة وأساليب الري، كما جُلبت نباتات وأشجار مثمرة من بلاد الأندلس[4].

---

1 - محمد سعيداني، المرجع السابق، ص 207.

2 - مؤلف مجهول، الاستبصار، المصدر السابق، ص 130.

3 - مارمول كارفخال، إفريقيا، ترجمة عن الفرنسية: محمد حجي، محمد زنيبر، محمد الأخضر، أحمد توفيق، أحمد بنجلون، دار نشر المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، 1409هـ/1989م، ص 344.

4 - محمد الشريف سيدي موسى، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بجاية من عصر الموحدين إلى الاحتلال الإسباني (06هـ/12هـ)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في لتاريخ الوسيط، ص 208.

واستفاد البجائيون من عدة أنظمة أندلسية وأدخلوا محاصيل جديدة في الزراعة، كما أصبحت الأرض تستغل باستخدام الري على مدار العام، كما قام الوافدون على بجاية من الأندلسيين باستصلاح نظم الري القديمة وتحسينها وتوسيع شيعتها في كثير من الأحيان.

ويرى ابن خلدون: «أنّ تطور الفلاحة والاعتناء بها راجع إلى عوامل طبيعية وبشرية بمفهومها الحاضر حتى يحصل كما قال قوت الإنسان»، وفي هذا الصدد نشير إلى العامل الثاني وهو الفرد الأندلسي، بحيث ساعدت الخبرات الأندلسية في تطوير هذا المجال من الجانب الاقتصادي حيث كلّف الأمراء المختصين بحفر الآبار لسقي البساتين الموجودة، كما حُلّ مشكل المياه لاسيما في فصل الصيف، بحيث استفادة بجاية كثيرا من الجالية الأندلسية ومن خبراتهم الزراعية وانعكس ذلك إيجابا على المحاصيل[1]. ونجد روبار برشفيك يلمّح إلى أنّ الأندلسيين لما استقروا ببجاية قد نقلوا معهم مهارتهم الزراعية، لذا نجدهم اختاروا الإقامة في البساتين المحاطة بالأنهار ليتمكنوا من ممارسة زراعتهم للبقول التي هي من تخصصهم[2].

وقد خصّ ابن الفضل اليعمري النباتات والمحاصيل الموجودة في مملكة بجاية في تأليفه مسالك الأبصار: أنّ بمملكة بجاية الحبوب والقمح والشعير والفول والعدس والحمص الذرة ومن الفواكه العنب، التين، الرمان، السفرجل، التفاح، الخوخ والمشمش، التوت، ومن الزهور الياسمين والنرجس[3]، وفي هذا الصدد يشير الإدريسي إلى أنّ الحنطة والشعير موجودان بقدر يكفي كثير من البلاد[4].

1 – محمد الشريف سيدي موسى، المرجع السابق، ص 210.
2 – روبار برونشفيك، المرجع السابق، ج01، ص 417.
3 – محمد الشريف سيدي موسى، المرجع السابق، ص 218.
4 – الإدريسي، المصدر السابق، ص 260.

2- الصناعة والتجارة:

أ- الصناعة:

يعرّف ابن خلدون الصناعة بقوله: «اعلم أن الصناعة هي ملكة في أمر علمي وفكري، ثم إنّ الصنائع منها البسيط ومنها المركب»، ومن جملة الصنائع الحياكة، الحدادة...، فقد تبوّأت بجاية مكانة مرموقة في المجال الصناعي، كما امتاز المجتمع البجائي بصناعة القارورات الزجاجية التي كانت تُزيّنُ بالخلط الذهبي، لكن شهرة البجائيين ترجع بالدرجة الأولى إلى صناعة الشمع[1]، زذلك ما تؤكده السيدة عالمة في نظرة على تاريخ بجاية بحيث تشير إلى الشمع صار البضاعة المفضّلة للأوروبيين ومنه سميت الشمعة بالفرنسية (**bougie**) نسبة إلى المدينة التي تصنعها وهي بجاية، أما صاحب الاستبصار يذكر أن البجائيين كانوا مشهورين بصناعة العمائم الجيدة الصنعة والغالية الثمن[2]. ويُشير هذا إلى شيوع الصناعة النسيجية بمدينة بجاية، بالإضافة إلى صناعة الورق[3]، ونستند بما ذكره الإدريسي في هذا المجال: «ومدينة بجاية بها من الصناعات والبضائع ما ليس في كثير من البلاد، وبها دار للصناعة وإنشاء الأساطيل والمراكب والسفن، لأنّ الخشب في حبالها وأوديتها ككثير»[4]، يبدو أنّ الصناعات ببجاية توزعت عبر مناطق فكانت هناك أقاليم خاصة بمحاصيل القطن والصوف وراجت الصناعة القطنية لصناعة البرانس والعمائم والثياب للرجال والنساء وصناعة الأسترة المرصّعة التي اشتهرت في أوساط الجالية الأندلسية ببجاية مع

1 - محمد الشريف سيدي موسى، المرجع السابق، ص 225.

2 - مؤلف مجهول، الاستبصار، المصدر السابق، ص 129.

3 - أمينة بوتشيش ، بجاية-دراسة تاريخية وحضارية من القرنين06هـ و 07 هـ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، إشراف: عبدلي لحضر، ص 47.

4 - الإدريسي، المصدر السابق، ص 260.

الطّرز والحياكة والزرابي ومن أشهر المصنوعات الحرير الذهبي الذي نقله الأندلسيون بين مالقة ومرسية وألميرية، وراجت هذه الصناعة لدى الطبقة الحاكمة والأغنياء[1].

ويمكن تفسير انتشار الأنواع الراقية من الأنسجة ببجاية لاحتضانها يد عاملة مؤهلة من الأندلس، على سبيل المثال أُستغلّ الرخام في كثير من الصناعات؛ كصناعة الأحواض وشواهد القبور وفي بناء وتشييد البيوت والقصور، وقد نقله عدد من الأندلسيين من مدينة قرطبة المتميّزة بهذه الصناعة، كما أدخل الأندلسيون تحسينات كبيرة على صناعات النحاس والأسلحة بمختلف أنواعها فاستفادت منها جيوش بجاية[2].

ويبدو أنّ تأثير العنصر الأندلسي، في تطوير الصناعة ببجاية غير واضح جدا لكن لا يمكن إغفال دور هذا العنصر الذي يعتبر جزءا مهما في النسيج السكاني، إذ أهله ليُساهم في النهوض ببعض الصناعات، ومن المعلوم أن هناك شخصيات علمية كثيرة توافدت على مدينة بجاية، وهذا إن ذلّ على شيء إنما يدل على تواجد عدد كبير من الصنّاع والحرفيين من الأندلسيين، ويمكن أن نستنتج من خلال تتبع تطوّر بعض الصناعات كالصناعات الجلدية، وقد تصدّت هذه الصناعة من قبل مدينة قرطبة لوجود مراكز صناعية خاصة بها[3]. ومن الصناعات التي نجد فيها اللمسة الأندلسية بالصناعة الفخّارية والخزفية والزجاجية[4]، وذلك راجع إلى الفنون القادمة من المشرق وخصوصا من الأندلس على اعتبار أنّ المهاجرين الأندلسيين وبمختلف طبقاتهم الاقتصادية والاجتماعية استوطنوا مدينة بجاية فكان وجودهم ليس فقط إضافة علمية وثقافية، بل حتى اقتصادية واجتماعية، ومن جهة أخرى فقط لاحظ مارمول كارفجال من خلال جولته في أنحاء

1 – محمد الشريف سيدي موسى، المرجع السابق، ص 227.
2 – نفسه، ص 227.
3 – محمد سعيداني، المرجع السابق، ص 206.
4 – أمينة بوتشيش، المرجع السابق، ص 47.

بجاية أنّ سكان هذه المناطق يمتهنون صناعة الأقمشة والزرابي التي يغلب عليها الطّراز المغربي الأندلسي[1].

ب- التجارة:

لقد جعل الموقع الساحلي البحري مدينة بجاية وجهة كثير من التجّار وبالأخص من الأندلسيين الذين كانوا يأتون ببضاعتهم إلى مرسى بجاية متخذين منها أهمّ محطّاتهم البحرية التي تمكنهم من التوسع تجاريا[2]، وفي هذا الصدد يشير البكري إلى أن الدور الأندلسي التجاري البحري بمدينة بجاية كان في وقت مبكر إذ ذكر ذلك في القرن الخامس بإشارته إلى وجود عدد كبير من الأندلسيين الممارسين لمهنة التجارة بمرسى بجاية[3]، ونجد البكري قد أكّد على تحوّل مدين بجاية إلى قطب اقتصادي تجاري، وملتقى للطرق التجارية من خلال كثرة السُفن المحمّلة بالبضائع المتنوعة، حيث يقول في هذا الصدد: «والسفن إليها مقلعة وبها القوافل منحطّة والأمتعة إليها برا وبحرا والسلع إليها مجلوبة والبضائع بها تافقة، وأهلها مياسير تجار... وبجاية قطب لكثير من البلاد»[4].

وقد أشار صاحب الاستبصار أن لبجاية مرسى عظيم تحطّ فيه السفن التجارية من مختلف الأقطار من الروم والصين الهند وهذا حتما ساهم في ازدهار الحياة التجارية وتنشيطها[5].

وعليه هذا الرواج للتجارة كان من ورائه التجّار الذين قدموا إلى المدينة برّا والذين رحلوا إليها بحرا، هم تجار أو مستوطنون، وعلى الأغلب هم الأندلسيون الذين يسهل عليهم الوصول إلى هذه المدينة القريبة من بلدهم الأندلس.

---

1 - مارمول كارفخال، المرجع السابق، ج02، ص 376.
2 - روبار برونشفيك، المرجع السابق، ج01، ص 417.
3 - البكري، المصدر السابق، ص 82.
4 - الإدريسي، المصدر السابق، ص 116.
5 - مؤلف مجهول، الاستبصار، المصدر السابق، ص 130.

3- التأثير الاقتصادي للأندلسيين على مدينة بجاية:

إنّ إسهام الأندلسيين في المجال الاقتصادي لم يكن ضعيفا، حيث أنّ الجالية الأندلسية قدت خدمات كبيرة في شتى الجوانب الاقتصادية، التجارية منها والزراعية والصناعية، فالنشاط التجاري ازداد نموا وتطورا بقدومهم واستقرارهم.

عدت بجاية المدينة الثانية بعد تونس من ناحية المساهمة التجارية، فتأسست الفنادق المختلفة وقدِمَ إليها التجار من مناطق مختلفة منهم القشتاليون والمرسيليون والجنويون والبنادقة، أما المجال الزراعي فقد قدّم هؤلاء المهاجرين إضافات كبيرة ومهمة له.

وحازت بجاية بنصيب كبير من الاهتمام الزراعي، ونظرا لبراعة الأندلسيين في ميدان الفلاحة، فقد اتجه قسم كبير منهم إلى لمناطق الساحلية الخصبة، حيث تعداد المجاري المائية، فاستقروا بقربها وساعدهم ذلك على استغلال خبراتهم فيها، فأسهموا بقسط وافر من نشر نظم زراعية وطرق جديدة للري بعد أن عرفوا حدودية مصادر المياه في المنطقة، هذا لا يعني أنّ المنطقة كانت خالية من وجوه النظم الخاصة بالري ولكن تطوّرت بشكل كبير على أيدي المهاجرين الأندلسيين[1].

بحيث استخدموا تقنياتهم الحديثة في استخراج المياه الجوفية من باطن الأرض وتوزيعها على الحقول والبساتين، فكثرت حقول الحبوب ولذرة وامتدت البساتين[2].

كانت أهم أعمال المهاجرين الزراعية غرس الكروم والرمان والسفرجل والتين، كذلك اهتموا بزراعة التوت لتغذية دودة القز لصناعة الحرير، ومن الجوانب التي طوّرها الأندلسيون نظام البستنة.

---

1 - علي احمد كرير، التأثيرات السياسية والاقتصادية للأندلسيين في مدينة بجاية خلال القرن السابع الهجري، المجلّة العربية للعلوم الاجتماعية، المؤسسة العربية للاستشارات العلمية وتنمية الموارد البشرية، مصر، العدد04، ج01، ص 31.

2 - شهاب الدين بن يحي العمري، وصف إفريقية والأندلس في أواسط القرن 08هـ، تحقيق: حسن حسين عبد الوهاب، مطبعة النهضة، تونس، ص 65.

أما النشاط الصناعي في مدينة بجاية فقد عرف تطوّرا، حيث أصبحت مركزا للنشاط الاقتصادي بفضل الهجرة الأندلسية في القرن **07**هـ، فقد كان لهؤلاء المهاجرين دور كبير في تطوّر الصناعات وبعض الحِرَف الأخرى فيذكر المقري بقوله: «وأما أهل الصنائع فإنهم فاقوا أهل البلاد... متى دخلوا في شغل عملوه في أقرب مدة وأفرغوا منه أنواع الحذق»، وبرزت صناعة النسيج بشكل كبير فقد كانت أكثر الصناعات انتشارا، فمدينة كبجاية كانت تضم عددا من النساجين والقصارين (منظفي الأقمشة)، وخياطي الملابس ومنهم البناؤون[1]، كما عُرف عن الأندلسيين اهتمامهم بتربية دودة القز المنتجة للحرير[2]. أما صناعة السفن والأسلحة فقد وُجدت في مدينة بجاية دار لهذا الغرض إضافة إلى صناعة العملة، أما النشاط الحرفي لهؤلاء الأندلسيين فلم ترد الإشارات لذلك إلا بالذكر اليسير، فقد امتهن بعضهم حرف، فالشيخ الصالح الفاضل علي الزيات قرأ بالأندلس واستوطن بجاية... كان يأكل من كدّ يده.

وخلاصة القول أنّ الأندلسيين في بجاية كانت لهم مساهمات فعّالة في تطور مناحي الحياة المختلفة[3].

1 – علي أحمد كرير، المرجع السابق،04، ج01، ص 31.

2 – ابن الخطيب، الإحاطة، المصدر السابق، ج02، ص 349.

3 – علي أحمد كرير، المرجع السابق، ص 32.

الفصل الثاني

الحياة العلمية والسياسية للأندلسيين في بجاية

- الحياة العلمية للأندلسيين في مدينة بجاية
- لحياة السياسية للأندلسيين في مدينة بجاية

المبحث الأول: الحياة العلمية للأندلسيين في مدينة بجاية:

1- أبرز العلماء:

صارت بجاية قبلة كثير من العلماء وبخاصة خلال القرنين السادس والسابع الهجريين، حيث أنّ هؤلاء كان لهم الأثر البالغ في وضع النواة لمركز علمي جديد سيضاهي بعد زمن يسير المراكز العلمية المتواجدة ببلاد المغرب الإسلامي كجامع القيروان الموجود بإفريقية، ولعل في هذا الصدد صاحب عنوان الدراية سلّط لنا الضوء على **31** عالما أندلسيا ممّن هاجروا إلى بجاية، أي حوالي ثلث عدد التراجم التي تحتويها كتابه، ومن أبرز العلماء الأندلسيين في بجاية نذكر:

أ- أبومدين شعيب بن الحسين الأندلسي:

الفقيه المحقّق القطب شيخ مشايخ الإسلام في عصره من ناحية إشبيلية وكان يدرّس العلم بمسجدين من مساجد بجاية، قال الغبريني في هذا الصدد: «فسِرتُ إلى الشيخ أبي مدين رضي الله عنه بالمسجد المعروف الآن بمسجد الفقيه أبي زكريا الزواوي رضي الله عنه بحومة الؤلؤة» توفي سنة **594**هـ/**1198**م[1].

ب-أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حسين بن سعيد بن إبراهيم الأزدي الإشبيلي:

الفقيه الجليل المحدّث الحافظ القاضي، رحل إلى بجاية وخيّرها وطنا له وأقام بها واشتغل بالتأليف وصنّف الدواوين ووُلّيَ الخطبة في صلاة الجمعة بجامعها الأعظم، وولي قضاء بجاية مدّة قليلة، وله مؤلفات ذاع صيتها واشتهر أمرها رواية وقراءة وشرحا[2].

1 - الغبريني، المصدر السابق، ص 22، 27.

2 - نفسه، ص 41.

ومن أبرز ما يذكره الغبريني عن مؤلفات، يقول: «له الأحكام الكبرى في الحديث، والأحكام الصغرى وله كتاب في التجهّد... وسمعت من بعض الطلبة أنه ألّف كتابا في اللغة سمّاه بالحاوي وهو في ثمانية عشر مجلّدا، ورأيت كتابا مجموعا من شِعره لكن في الزهد وأمور الآخرة، ولد في ربيع الأول سنة عشرة وخمسمائة وارتحل إلى بجاية بعد الخمسين وخمسمائة، توفي سنة **581**هـ/**1185**م»[1].

ج–أبو العباس أحمد بن خالد:

الفقيه الأصولي من أهل مالقة، قرأ بمراكش جلس للإقراء ببجاية، ويقول الغبريني إليه في بدء أمري بعض معيار العلم في علم المنطق وقرأ عليه بعض أصحابنا الإشارات والتنبيهات لابن سينا من فاتحتها إلى خاتمتها توفي ببجاية حوالي عام **660**هـ/**1262**م.

د–أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد الأموي:

المعروف بابن أندراس الفقيه من أهل مرسيه طبيبا باحثا وله معرفة بعلم العربية، وكان حاذقا في عربيته، ومن المهام التي كان يقوم بها في بجاية، يذكر الغبريني: «وكان رحمه الله متوليا لطبّ الولادة ببجاية... وكلفني بنظم بعض الأدوية علي سبيل التعاون فنظّمت له بعضا» توفي بتونس سنة **674**هـ/**1275**م[2].

هـ–أبوعبد الله محمد بن صالح بن أحمد الكناني الشاطبي:

الفقيه الخطيب النحوي، الأستاذ المقرئ رحل إلى العدوة واستوطن بجاية روى ودرّس وأقرأ واستنفع به خلق كثير، ويذكر الغبريني أنه وُلي النظر في الأنكحة وناب عن قضاة بجاية مدة وولي الخطبة بجامعها الأعظم، وقد قرأ مفصّل الزمخشري وأحكمه، توفي بعد سنة **699**هـ/**1297**م.

1 – الغبريني، المصدر السابق، ص 42.

2 – نفسه، ص 75، 76.

و–أبو العباس أحمد بن محمد بن حسن بن محمد بن خضر الصدفي الشاطبي:

الفقيه المقرئ، المجوّد، يقول الغبريني: «له رواية واسعة ومعروفة بالقراءات ما رأيتُ أتقن منه في القراءات، ولا أضبط منه في طريق الروايات»، ويذكر أنه ألّف كتابا في مرسوم الخط وهو كتاب حسن الفائدة، وله عدّة مؤلفات قيّمة، توفي أبو العباس أحمد بن خضر ببجاية يوم السبت عشرين ذي الحجة عام **674**هـ/**1276**م.

ز–أبو الحسن عبيد الله بن أحمد بن عبد المجيد بن عمر بن يحي الأزدي:

من أهل رندة الفقيه الزاهد، سكن بجاية، وكان على سنن الفقهاء وعلى طريق المتعبدين الصلحاء، له علم ووقار وكان إذا تحدّث في الشيء يقضي بفضل الله، توفي سنة **691**هـ/**1292**م.

ح–أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن يحي بن حزب الله بن محمد بن خلف الله بن عبد الرحمن بن يعقوب الخزرجي الأنصاري الشاطبي:

الفقيه، القاضي، كان له علم بالعربية وأصول الفقه وله مشاركة في أصول الدين وفي قوانين الطب، وكان بحثه في أصول الفقه جيدا، قضى ببجاية فكان في قضائه على سنن الفضلاء، قائما بالحق معارضا للولاة فيما يخالف طريق الشرع، ثم انصرف عن بجاية فوُلِيّ قضاء حاضرة افريقية توفي في تونس سنة **691**هـ/**1292**م[1].

ط–أبو العباس أحمد بن محمد بن الحسن بن الغماز الأنصاري البلنسي:

الفقيه، القاضي الكبير من أهل بلنسية رحل إلى بجاية ولقي المشايخ بها كأبي بكر بن محرز وأبي المطرف بن عميرة وأبي الحسن بن أبي نصر وغيرهم، ثم ارتحل إلى حاضرة افريقية، ثمّ وُليّ قضاء

1 – الغبريني،المصدر السابق، ص 119.

بجاية، ووُلّي إقامة صلاة الفريضة بجامعها الأعظم، وكان مقدّما في فصل الأحكام وعارفا بمواقعها وُلد عام **609**هـ/**1212**م، توفي **693**هـ/**1294**م[1].

ي–أبو عبد الله محمد بن علي الطاشي الحاتمي الشهير بسيدي محي الدين بن غربي المرسي:

الفقيه الحافظ، المتصوّف أصله من مرسية وسكن إشبيلية، وُلّي من التأليف في علم التصوّف، دخل بجاية في شهر رمضان المعظّم سنة **597**هـ/**1200**م واستقر بها وكانت له الكثير من المؤلفات والتصانيف، توفي حوالي **638**هـ/**1240**م.

ك–أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن فتوح النفّري:

الفقيه العالم من أهل شاطبة، كان من أهل العلم والفضل والدين، عالما بالفقه وأصوله وعلم العربية النحو واللغة والأدب له شعر وأدب، وكان له اختصار حلية الأولياء لأبي نعيم توفي سنة: **642**هـ/**1244**م[2].

ل–أبو الحسن علي الشهير بابن الزيات:

الفقيه الصالح، حافظ لمذهب مالك رحمه الله قرأ بالأندلس، وارتحل إلى العدوة، استوطن بجاية.

م–أبوالحسن ابن عصفور:

هو أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي الحضرمي عرف بابن عصفور ولد سنة **597**هـ/**1200**م، فقيه نحوي، لغوي وتاريخي من أهل إشبيلية، قرأ بها على يد جماعة من أكابر

1 – الغبريني، المصدر السابق، ص 156.

2 – نفسه، ص 197.

العلماء، جمع بين الحفظ والإتقان وفصاحة اللسان ارتحل إلى العدوة واستوطن بجاية وكان بها أستاذا للأمير أبي يحي، توفي سنة **669**هـ/**1271**م[1].

ن–أبو العباس أحمد بن محمد القرشي الغرناطي:

فقيه، مدرّس محدّث قال الغبريني في هذا الصدد: «سمعت عنه أنّه يحفظ تاريخ الطبري...» له اعتناء بالرواية وبالبحث عن الأخبار، له تأليف وتصانيف، وكان أعلم الناس بالكتب المصنّفة وأحفظهم لأسمائها، وقد اجتمع بمشايخ بجاية، وسألهم عما صنّفوه (ت:**692**هـ/**1292**).

س–أبو عبد الله محمّد بن أحمد المعروف بابن الجنان:

فقيه خطيب كاتب وأديب من أهل الرواية والإتقان وجودة الخطّ وحسن الضبط وهو في الكتابة من نظراء أبي المطرّف المخزومي وكثيرا ما كانا يتراسلان بما يعجز عنه الكثير من الفصحاء ولا يصل إليه إلاّ القليل من البلغاء، وكان أدبه كثير توفي نحو **610**هـ/**1214**م[2].

2– أهم العلوم:

تبدو لأول وهلة أنّ التأثير الأندلسي في الجانب العلمي بحاضرة بجاية خلال القرن **06–09**هـ يطغى بقوة على الجوانب الأخرى وكلما تتبعنا التأثير العلمي الأندلسي ببجاية أنّ الحياة العلمية كانت زاخرة وثرية بكم هائل من العلوم وفي هذا السياق يمكننا القول أنّ من ترجم لهم الغبريني من الأندلسيين الوافدين على بجاية قد برعوا في عدة علوم وبلغوا القمة في أنواع من النثر والشعر ومارسوا مهنة التدريس وتخرّج على أيديهم عدد من العلماء الكبار، ومنهم من في جانب العلوم العقلية أو النقلية، وفي هذا السياق سنتطرق إلى أهم العلوم.

1 – الغبريني، المصدر السابق، ص ص 317، 318.

2 – نفسه، ص 349.

أ–العلوم النقلية:

وتتجسد في كل ما يتعلق بالعلوم الدينية كالفقه وأصول الفقه وأصول الدين وعلوم الحديث وعلم القراءات والتصوف وغيرها.

– علم القراءات:

هو صنف من أصناف العلوم النقلية[1]، والمراد به علم يعرف كيفية النطق بالكلمات القرآنية وطريقة آدائها، وترجع أهمية هذا العلم إلى كونه يدور حول القرآن الكريم من التحريف، ويذكر ابن خلدون في مقدمته أنّ علم القراءات تلقى عناية فائقة في بلاد الأندلس، وكان للأندلسيين دور كبير في تعميق علم القراءات ونشره وإثرائه في بلادهم، ومن هنا نستنتج أنّ الوجود الأندلسي في بجاية كان له إسهام كبير في هذا العلم تأليفا وتدريسا، وهذا ما نلحظه من خلال الوقوف على بعض الشخصيات العلمية المتخصصة في هذا العلم.

ومن هؤلاء الأندلسيين الذين برعوا في علم القراءات، وأفادوا أهل بجاية بعلمهم "محمد بن صالح بن أحمد الكناني الشاطبي" يُكنّى بأبي عبد الله، أصله من مدينة شاطبة، وُلد بها سنة **614**هـ، استوطن حاضرة بجاية[2]، كان واسع المعرفة بعلم القراءات متقنا لها.

وممّن ذكرهم الغبريني في عنوان الدراية، مؤكدا سعة علمهم بالقراءات "أحمد بن محمد بن حسن بن محمد بن خضر الصدفي الشاطبي" المكنّى بأبي العباس، أصله من شاطبة، وقد اعتنى بفنّ مهم من فنون القراءات وهو فنّ الرسم المتعلق بأوضاع حروف القرآن في المصحف ورسومه، فألّف فيه كتابا وله كتب أخرى في ضبط رواية رش وما يتعلّق بها من أحكام، توفي سنة **674**هـ.

1 – ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ج02، ص 359.

2 – الغبريني، المصدر السابق، ص 79.

ومن المعروفين أيضا بهذا العلم "سعيد بن علي بن محمد بن عبد الرحمن بن زاهر الأنصاري البلنسي"، وهو من أهل بلنسية ببلاد الأندلس بعد استقراره ببجاية جلس للإقراء واستفاد منه الكثير توفي سنة **654**هـ[1].

– علم الحديث:

المراد به إسناد السنة إلى صاحبها والكلام في الرواة الناقلين لها ومعرفة أحوالهم وعدالتهم ليقع الوثوق بأخبارهم[2]، قد زخرت مدينة بجاية في العهد الحفصي بعدد من علماء الحديث الكبار الموصوفين بالإتقان ومنهم:

أ–محمد بن أحمد بن عبد الله الإشبيلي: يعرف بإبن سيّد الناس ويُكنّى بأبي بكر، كان عالما بالحديث وعلومه حافظا له، توفي سنة **659**هـ/**1261**م[3].

ب–أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن سليمان بن محمد الزهري: ويعرف بإبن محرز **569**هـ–**55**هـ، يُعتبر من الشخصيات التي كان لها إسهام كبير في هذا العلم، أصله من بلنسية، ولما استوطن بجاية كانت له مكانة كبيرة وكان مرجعا علميا في جميع العلوم وكان جلّ وقته للتدريس والتعليم[4]، وفي هذا الصدد يذكر ابن الآبار كان بيتهم في القديم يُعرف بإبن الفتح[5]، حيث قال عنه: «وكان أحد رجال الكمال علما وإدراكا وفصاحة مع

1 – الغبريني، المصدر السابق، ص 85.

2 – ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ج02، ص 359.

3 – الغبريني، المصدر السابق، ص 291.

4 – نفسه، ص 283.

5 – محمد بن عبد الله بن ابي بكر القضاعي ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام الهواس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 1415هـ/1995م، ج02، ص 153.

الحفظ بالفقه والتفنّن في العلم والمتانة في الآداب وحفظ اللغات، وله شعر رائق بديع سمعت منه كثيرا وأجاز لي»[1].

ج–سليمان بن علي الشلبي الأندلسي: يعتبر من العلماء الذين استقروا بمدينة بجاية عالِم من علماء الحديث حافظ لأسانيد وعارف بمعانيه، المكنى بأبي الربيع المعروف بـ"كثير"[2]، وذكر الغبريني منزِلته العلمية فقال له علم بالحديث ومعرفة برجاله حافظ لأسانيده، محصّل لمعانيه من أهل الضبط والحفظ، ولد في **565**هـ/**1170**م، توفي في **634**هـ/**1237**م[3].

ومن خلال كتاب عنوان الدراية لصاحبه الغبريني نجد أنّ الشخصيات العلمية الأندلسي الوافدة على حاضرة بجاية كانت في معظمها من الفقهاء وقد ذكر أنّ بعضهم قد بلغ درجة الاجتهاد ومنهم "أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن فتوح النفّري" المتوفي **642**هـ/**1244**م، وصفه بالفقيه العلم العابد من أهل شاطبة، كان من أهل العلم والفضل والدين متبحّرا عالما بالفقه وأصوله[4]، وكذلك من العلماء الأندلسيين الذين برعوا في علم الفقه "أبو العباس أحمد بن خالد" وُصف بأنه الفقيه الأصولي كان كالما في أصول الفقه، وكان تلاميذته يأخذون عنه العلم ويقرؤون عنه ومنهم الغبريني الذي قرأ عليه بعضا من كتب أصول الفقه توفي ببجاية في نحو الستين وستمائة (**1261**م)[5]، ونجد الغبريني يذكره من الذين برعوا في علم الفقه، من أهل مالقة، قرأ بالأندلس ولازم الفقيه الإمام أبا عبد الله المؤمناني مدة عشرين سنة كان يقول

1 – ابن الآبار، المصدر السابق، ج02، ص 154.
2 – المقري، المصدر السابق، ج03، ص 566.
3 – الغبريني، المصدر السابق، ص 279.
4 – نفسه، ص 193.
5 – ابن قاسم مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 01، ص 286.

أنّ مثل هذه المدة لازم أرسطو أفلاطون، كان متحملا لأصول الفقه ولأصول الدين على طريقة الأئمة المتقدمين[1].

– الفقه:

عرّف ابن خلدون الفقه بقوله: «هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلّفين بالوجوب والكراهة والإباحة وهي متلقاة من الكتاب والسُنّة وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة، فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه، وهو يتناول جميع المسائل التي تواجه الإنسان في حياته..»[2].

أ–أبوالحسن علي الشهير بإبن الزيات: يذكره الغبريني بأنه الشيخ الفقيه، قرأ بالأندلس وارتحل إلى العدوة واستوطن بجاية وأقرأ بها وانتفع الناس بعلمه ودينه، وتميّز بحفظه لمذهب مالك، درس الفقه المالكي ببجاية ثم تونس بعد أن انتقل إليها[3].

ب–أبومحمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حسين بن سعيد بن إبراهيم الأزدي الإشبيلي (510هـ/581هـ): له في كل علم فنّ ونصيب، فقد أثنى عليه الغبريني بوصفه الفقيه الجليل العابد الزاهد، رحل إلى بجاية وخيّرها وطنا، فألّف التآليف وصنّف الدواوين ووُلِيَ الخطبة وصلاة الجماعة بجامعها الأعظم[4].

– التصوف:

كانت حاضرة بجاية خلال القرن السادس والسابع الهجريين مركزا انطلقت منه مشايخ التصوف لنشره، حيث كانت هذه الحاضرة مقرّا لشيخ مشايخ التصوّف السُنّي أبو مدين شعيب

1 – الغبريني، المصدر السابق، ص 73.
2 – عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002م، ج01، ص 445.
3 – الغبريني، المصدر السابق، ص 197.
4 – نفسه، ص 41.

الذي برز في القرن السادس الهجري، والذي كان له تلاميذ وأتباع لتلقي طريقته وفكره الصوفي القائم على الالتزام بالكتاب والسُنّة والاستناد إلى كتاب إحياء علوم الدين للغزالي كمرجعية[1]، وبذلك صارت مدينة بجاية قاعدة التصوف الأولى وترسخت الحركة الصوفية السُنّية، وهذا ما يطلعنا عليه كتاب عنوان الدراية الذي لاحظنا فيه تواجد شخصيات علمية تحمل نهج التصوف السُنّي علما وعملا وسلوكا وتحقيقا، وخصوصا إذا اكتشفنا أنّ هذه الشخصيات من أصول أندلسية، ومنها الموصوف الزهد والعبادة مثل: "قاسم بن محمد القرشي القرطبي" المكنّى بأبي الفضل وصفه الغبريني بـ: «الشيخ الفقيه المنقطع الصالح الزاهد الورع المتعبّد المستجاب الدعوة، فقد عُرف عنه تصوّفه وكثرة زهده وتفرّغه للعبادة، فكان من المتصوّفة المتعبّدين، وكانت ولادته ونشأته بقرطبة خرج مهاجرا إلى بجاية وافته المنيّة سنة **662**هـ/**1264**م»[2].

ومن الشخصيات المتصوفة نجد أيضا: "أبومحمد عبد الحق بن ربيع بن أحمد بن عمر الأنصاري"، وقد وصفه الغبريني بأوصاف تدل على منزلته العلمية، حيث يقول عنه: «شيخنا الفقيه الإمام العالم المحقّق الصوفي المجتهد».

فهذا الوصف يدلّ على أنه من الفقهاء المجتهدين وهو أيضا من المتخصصين في علم التصوّف، وأصله من أبدة، حيث أنّ جدّه المسمى عمر هو من وفد إلى الأندلس واستقر بحاضرة بجاية، توفي سنة **675**هـ/**1285**م[3]، ونجد صاحب شجرة النور الزكيّة يشير إلى أنّ هذه الشخصية لقيت الثناء الحسن من أبي محمد بن عبد الحق بن سبعين في كتبه[4]، ويشير التنبكي إلى أنه ولد

1 – عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 384.

2 – الغبريني، المصدر السابق، ص 174.

3 – نفسه، ص 57.

4 – ابن قاسم مخلوف، المصدر السابق، ج01، ص 287.

بهذه المدينة وأتمّ تحصيله العلمي بها صار من العلماء البارزين في الفقه وأصول الدين والمنطق والتصوف، يقول التنبكي سمعته يقول: «والله ما بِتُّ قط وفي نفسي شرّ لمسلم»[1].

وهناك شخصية أندلسية اجتمع فيها علم واسع بالفقه وأصوله وبسلوك طريق المتعبّدين الصالحين وهو: "أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن قاسم الأنصاري" المعروف بـ"ابن السراج" وهو من أهل إشبيلية ولد سنة **560**هـ وأشار إليه الغبريني في قوله: «الشيخ الفقيه ... الصالح الفاضل... وكان على سُنن الفقهاء، وعلى طريق المتعبدين الصالحين»[2]، وفي مقابل مدرسة التصوف السُنّي التي تزعمها أبومدين شعيب الأندلسي نجدُ اتجاها آخر مناقضا لهذه المدرسة، وهو تيار التصوف الفلسفي، وقد قاد هذا النوع بين التصوف الفلسفي "محمد بن علي محمد الطائي الصوفي" المكنّى بأبي بكر والمعروف بابن العربي وبالحاتمي أيضا من أهل إشبيلية وأصله من مرسيّة[3].

وقد ذكره الغبريني أنه استقرّ ببجاية مدة وبثّ فيها أفكاره ووصفه بالحافظ المتصوّف المحقق، له من التأليف ما هو أكثر من الكثير كلها في علم التصوف، فصيح اللسان، رحل إلى العدوة ودخل بجاية في شهر رمضان المعظّم سنة سبع وتسعين وخمسمائة توفي سنة **638**هـ/**1240**م[4].

ومما سبق يظهر أنّ مدينة بجاية كانت منطلقا للتصوّف بجميع ما فيه من تناقضات معرفية وتنوع فكري، ويمكن الإشارة هنا أنّ من تزعّم هذه التيارات الصوفية من الجالية الأندلسية التي استقرت بهذه المدينة خصوصا في العهد الحفصي، وهذا يؤكد أنّ الوجود الأندلسي كانت له أبعاد دينية وعلمية.

---

1 – أحمد بابا التبنكي، نيل الانتهاج بتطريز الديباج، عناية وتقديم: الدكتور عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات دار الكتاب، طرابلس، 2000م، ط02، ص 280.

2 – الغبريني، المصدر السابق، ص ص 202-204.

3 – المقري، المصدر السابق، ج02، ص 175.

4 – الغبريني، المصدر السابق، ص ص 156-157.

ب–العلوم العقلية:

وتشمل عدة تخصصات كالرياضيات، الحساب الهندسة، الطب وغيرها.

–الطب:

وبرع فيه "أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد الأموي" المعروف بـ"ابن أندراس" أصله من مالقة، وفد إلى بجاية واستقر بها، وله معرفة بعلم العربية وعلم أصول الدين غير أنه برع أكثر في علم الطب، حيث كان يقوم بتدريسه في بجاية[1]، وكان من سيماته أنّه لا يتسرّع في الإجابة عن مسألة طبيّة حتى ينظر ويبحث فيها، وكان متخصصا في طب الولادة في بجاية، ومن مصنّفاته "نظم" ذكر فيه بعض الأدوية، وكان يتميّز بذكاء حاد توفي سنة **674**هـ، وكذلك في هذا الصدد نجد شخصية أخرى "أبوالعباس أحمد خالد المالقي الأندلسي"[2].

–التاريخ والجغرافيا:

لقد حفلت حاضرة بجاية بمجموعة من المؤرخين الأندلسيين، حتى أنّ الغبريني نجده في كتابه عنوان الدراية يدعو من ترجم لهم من الأندلسيين بـ"التاريخي" لاهتمامهم بتدوين التاريخ ومن هذه الشخصيات التي أضفى عليها الغبريني هذا الوصف "عبد الحق الأنديي الإشبيلي"، ويبدو أنه من المؤرخين الأندلسيين الذين دوّنوا التاريخ الإسلامي عموما وتاريخ المغرب الإسلامي خصوصا وله تلخيص لتاريخ الطبري، وكان يتعلق بتاريخ قبيلة صنهاجة بمدينة بجاية وإفريقية[3].

ونجد من كبار المؤرخين أيضا الذين استوطنوا مدينة بجاية "محمد بن عبد الله بن أبي بكر عبد الله بن أبي بكر القضاعي الأندلسي البلنسي" من أهل بلنسية[4]، حيث استوطن بجاية وكان

1 – الغبريني، المصدر السابق، ص 75–76.
2 – نفسه، ص 73.
3 – محمد سعيداني، المرجع السابق، ص 194.
4 – المقري، المصدر السابق، ج02، ص 58.

ضمن المشيخة الأندلسية الفاعلة ثقافيا ومعرفيا في حاضرة بجاية، وأكمل بها كتابيه: "التكملة" و"الحلة السيراء" وقال فيه الغبريني: «لا يكاد كتاب من الكتب الموضوعة في الإسلام إلاّ وله فيه رواية إما بعموم أو بخصوص»[1]، ولعل حضوره المعرفي ونشاطه الثقافي بحاضرة بجاية قد أظهر أهمية الدور الذي قامت به المشيخة الأندلسية في إثراء التدوين التاريخي والمعرفي.

-الأدب:

من الملاحظ أنّ بجاية قد استقر بها عدد من أعلام الأندلس، لهم تنوع في المعارف، وقد ذكر الغبريني تراجم لهؤلاء الأندلسيين حيث وصف براعتهم في نظم الشعر وفصاحتهم في الخطابة ومهارتهم في النثر ومعرفتهم باللغة والنحو.

ومن الذين كانوا أعلاما للأدب والشعر والكتابة في عصرهم واستوطنوا بجاية نذكر الأديبين: "ابن عميرة المخزومي (**582**هـ-**658**هـ) وابن الأبار البلنسي"، فقد كان ابن عميرة المخزومي متمكّنا من علم الحديث والإكثار من روايته، بإتقان وضبط[2]، ولكن اشتهر في عصره ببراعته الأدبية وعبقريته في الكتابة النثرية وأثنى عليه لسان الدين الخطيب في إحاطته.

ومن العلماء كما ذكرنا في حاضرة بجاية: "ابن الأبار" كان مؤرخا كبيرا وشاعرا أديبا وامتاز بأسلوبه الأدبي[3]، وكانت له مؤلفات في مجال الشعر والأدب والتاريخ[4]، نستحضر أيضا "أبا العباس القرشي الغرناطي" حيث كان يحفظ تاريخ الطبري ويهتم بالرواية والبحث عن الأخبار[5].

1 - الغبريني، المصدر السابق، ص 309.

2 - نفسه، ص 298.

3 - محمد بن عبدالله بن ابي بكر القضاعي ابن الأبار، الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط02، 1985م، ج01، ص 08.

4 - السعيد بحري، الشعر في ظل الدولة الحفصية-دراسة تاريخية فنية، بحث مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي القديم، جامعة منتوري، قسنطينة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية، 2007/2006، ص 171.

5 - التنبكي، المصدر السابق، ص 80.

3- أثر علماء الأندلس على بجاية:

لقد أسهم الأندلسيون بشكل كبير في تنشيط الحركة العلمية والثقافية ببجاية، حيث خدموا البلاد وأهلها بكل ما أوتوا من كفاءة، ويمكن إجمال إسهاماتهم في الجانب العلمي في النقاط التالية:

- انتشار حلقات تدريس العلماء الأندلسيين في مختلف العلوم، وكان ذلك بطبيعة الحال بالتعاون مع علماء المغرب الأوسط.

- انتشار المؤلفات والكتب التي أحضرها الأندلسيون معهم.

- تولي الأندلسيين لمناصب دينية وعلمية هامة.

- الموسوعية العلمية التي سمحت لأعلام الأندلس المهاجرين من الاشتهار، بالتدريس والتصنيف ليشمل مختلف الفروع العلمية، أي أنّهم الأندلسيون أثروا بمختلف توجهاتهم وتخصصاتهم في الحياة العلمية ببجاية، كما تأثروا بعلمائها، بعدما تأقلموا مع شعبها[1]، حيث مارسوا التعليم والتدريس بطرق وأساليب متنوعة، حيث بفضلهم أصبحت بجاية منارة العلماء وعاصمة للعلم والثقافة، وكل ذلك راجع إلى دور المشيخة الأندلسية بها والذين ساهموا في نشر العلم وتخريج عدد من العلماء، حيث ارتكز نشاطهم على تدريس مجموعة من المؤلفات الإخبارية على جملة من طلبة الحلقة، وهذا إن دلّ على شيء يدلّ على حقيقة النشاط التاريخي الذي قاده هؤلاء المشيخة الأندلسية في بجاية.

والذي أثّر على المسار العام في تنامي الوعي التاريخي في بجاية خصوصا خلال القرن **07**هـ/**13**م، ولعل من أبرز شيوخ ابن السرّاج الإشبيلي التاريخي ابن الأبار البلنسي وأبي عبد الله محمد بن صالح الكتاني الشاطبي، ولعل ما يفيدنا هنا كتاب أبي العباس الغبريني

1 - ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 85.

(ت**704**هـ/**1304**م) "عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية"، حيث ثبت القاسم المشترك بهذه الفئة هي مساهمتها الفعّالة في تدريس مجموعة من المؤلفات في فروع مختلفة على سبيل المثال برزت طبقة لا يستهان بها من المؤرخين برعت في تلقي عدد من المؤلفات التاريخية على طلبة الحلقة التي كانوا يعقدونها بشكل خاص في المساجد التي أسندت إليهم، وبذلك تشكلت مدرسة تاريخية أندلسية لها خصوصيتها، وقد أوضح لنا ذلك قاضي مدينة بجاية الغبريني في تراجم دوّنها في كتابه "عنوان الدراية"، والتي كان لها دور في تفعيل النشاط التاريخي بالمنطقة من خلال تدريسهم مؤلفات تاريخية في حلقتهم بمنطقة بجاية على طلبة الحلقة، فنجد ابن السراج الإشبيلي يذكر له الغبريني أبرز تلاميذته في بجاية أمثال: المؤرخ ابن بشكوال (ت**578**هـ/**1182**م) والمؤرخ أبي القاسم السهيلي (ت**581**هـ/**1185**م)، غير أنه لم يذكر لنا طبيعة المؤلفات التي كان يدرسها[1]، وورود العديد من الأسماء الأندلسية في كتب التراجم والطبقات إنما يدل على الدور العلمي والثقافي للأندلسيين في بجاية[2].

رواج مؤلفات السيرة النبوية وكتب التراجم والطبقات المشرقية والأندلسية في الحلقة:

إنّ قراءة نوعية المؤلفات التاريخية التي كانت مدار التلقي في بجاية في القرن **07** هـ تؤكد على الانتشار الواسع لكتب السيرة النبوية وفي مقدمتها: اثنان مشرقيان هما: "سيرة ابن إسحاق" و"شمائل الترميذي"، واثنان أندلسيان ونعني بهما: "الدر في اختصار المغازي والسير" لابن عبد البر النمري، وكتاب "الروض الآنف" لأبي القاسم السهيلي، هذا إن دلّ على شيء على انفتاح الوسط العلمي ال..جائي على مختلف التيارات الإخبارية، وتنامي الوعي التاريخي في بجاية، وذلك راجع للدور الكبير الذي لعبته المشيخة الأندلسية من طبقة المؤرخين، ممثلة في أساتذتها الواردين على بجاية وفي مقدمتهم الشيخ أبو عبد الله الكناني ودوره في تفعيل النشاط التاريخي بالمنطقة،

1 – آسيا ساحلي، المرجع السابق، ص 103.

2 – فرحات إبراهيم بكار، المرجع السابق، ص 12.

وذلك بتدريسه على طلبة حلقته مجموعة معتبرة من المؤلفات التاريخية على الخصوص كتب السيرة النبوية وتراجم رجال الحديث تماشيا مع روح ذلك العصر من جهة ومن جهة أخرى لفت الانتباه إلى أهمية تلك المادة العلمية من فهارس شيوخ وغيرها في تسليط الضوء على طبيعة المواد المدرّسة داخل الحلقة، ما يتيح للباحث معرفة للخلفية الفكرية التي تستند عليها الأوساط العلمية في بجاية والمعتمدة أساسا في الاعتماد على الإنتاج الفكري الأندلسي[1].

1 - آسيا ساحلي، المرجع السابق، ص ص 113-116.

المبحث الثاني: لحياة السياسية للأندلسيين في مدينة بجاية:

لقد اتبعت الدولة الحفصية منذ نشأتها سياسة تعيين الأندلسيين بالمناصب العليا في مملكتها من مارتهم وخبراتهم، وقد شهدت بجاية في العهد الحفصي السياسة نفسها من خلال وجود عدد من الشخصيات الأندلسية كان لها مساهمة في إدارة الشؤون السياسة.

1- الحجابة:

يدرج مفهوم الحجابة في العهد الحفصي منه كون صاحبها صار للسلطان الحفصي: "قهرمان" خاص بداره في أحواله بجريها على قدرها وترتيبها من رزق ونفقة، وتنفيذ ما يحتاج إليه في ذلك من أهل الجباية، بعد ذلك أضيف إلى مهامه كتابة العلامة على السجلات إذا كان يتقن فنّ الكتابة وتوسعت صلاحياته فيما بعد، فعندما حجب السلطان نفسه عن رعيته، صار الحاجب واسطة بين الناس وبين أهل الرتب جميعهم[1]، حيث كان رديف الأمير الوالي ومساعده المباشر، حيث أصبحت الحجابة أداة تمكين الحاجب من فرض وصايته على دواليب الدولة تحريكها حسب مشيئته[2].

فبمجرد انتقال إمارة بجاية إلى أبي زكريا بن أبي إسحاق **683**هـ-**700**هـ/**1284**م-**1292**م نزل بجاية وضاهى بها تونس وذلك سنة **684**هـ-**1285**م وقرّب إليه الأندلسي: "أبا الحسين بن سيّد الناس" وجعله على حجابته وفوّض إليه كلّ أمور المدينة"، فاستغلّ هذا الأخير مكانته لدى الأمير وخلو بجاية من شيوخ الموحّدين إذ لم يكن أحد ينافسه في مركزه فسيطر على كافة شؤون بجاية وصار إليه الحل والعقد واستمرّ على هذه المكانة حتى وفاته سنة **690**هـ-**1291**م، ليخلفه أندلسي آخر هو "أبو القاسم بن أبي جي"[3]، وهو من جالية الأندلس ورد على الدولة وتصرّف

1 - ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ج02، ص 12-13.
2 - روبار برونشفيك، المرجع السابق، ج02، ص 55.
3 - نصيرة عزرودي، المرجع السابق، ص 50.

في أعمالها واتصل بأبي الحسين ابن سيّد الناس فاستكتبه ثم رقّاه فأثبت كفاءة عالية رشّحته لنيل منصب الحجابة[1].

أ- أبو عبد الرحمن يعقوب بن أبي بكر بن محمد بن عمر السلمي:

كانت شؤون بجاية آنذاك تحت تصرّف هذا الحاجب الذي ينحدر من أسرة أندلسية، وكان أبوه الذي أصله من شاطبة، قد وُلي الديوان بالقل وقد ارتقى هو نفسه إلى ولاية الأشغال (المالية) في عهد أبي زكريا بن أبي إسحاق إلى أن تسببت غيره الحاجب ابن أبي جبي في نفيه وبعد رجوعه من المنفى سعى إلى الانتقام من خصمه، حتى أبعده وحل مكانه، وبفضل ما كان له من تأثير لا حدّ له على السلطان استطاع شيئا فشيئا الحصول على نفوذ مطلق[2].

ب- محمد بن محمد بن أبي بكر بن خلدون:

عيّنه السلطان أبو إسحاق حاجبا لابنه أبو فارس على بجاية[3].

ج- عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن خلدون الإشبيلي الأندلسي:

هو من الشخصيات الأندلسية المهمة التي تولّت خطّة الحجابة في حاضرة بجاية وكان لها نفوذ قوي في الدولة الحفصية، حيث أنّ أسرة ابن خلدون هي من الأسر الأندلسية التي هاجرت إلى العدوة المغربية، وكان استقرارها في إفريقية في خدمة سلاطين بني حفص، ويوضّح عبد الرحمن نفسه في كتابه "رحلة ابن خلدون" بعض تفاصيل سيرة هذه الأسرة قائلا: «وأصل هذه البيت من إشبيلية، ويعود نسبهم إلى وائل بن حجر من عرب اليمن»[4].

1 - نصيرة عزرودي، المرجع السابق، ص 50.
2 - روبار برونشفيك، المرجع السابق، ج01، ص 146.
3 - ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، المصدر السابق، ص 34.
4 - نفسه، ص 27.

ففي عهد أبي عبد الله الحفصي **765**هـ-**769**هـ/**1363**م-**1366**م برز المؤرخ يحي بن خلدون (ت**780**هـ/**1378**م) صاحب "بغية الرواد في تاريخ الملوك" من بني عبد الواد فقرّبه إليه وجعله على منصب الحجابة وذلك سنة **765**هـ/**1364**م ثم نقلها إلى أخيه عبد الرحمن بن خلدون (ت**808**هـ/**1405**م) بعد أن استدعاه من الأندلس وقلّده حجابة الدولة وذلك سنة **766**هـ/**1365**م[1].

لكن ابن خلدون لم يبق في منصب الحجابة إلا عاما واحد وذلك بسبب سياسة التضييق والعنف التي اتبعها أميره الحفصي قصد توسيع سلطة مملكة بجاية[2]، حيث خرج ابن خلدون من بجاية واتجه إلى مكان معزول عن السياسة ومكائدها، وهو قلعة بني سلمة[*]، الواقعة بالمغرب الأوسط وهناك كتب مقدّمته الرائعة الخالدة[3].

وعليه فإنّ أسرة ابن خلدون الأندلسية قامت بأدوار متعددة في المجال السياسي.

2- القضاء:

يعتبر أعلى منصب وهو ما يطلق عليه "قاضي الجماعة" الذي يمارس مهامه في عاصمة الدولة فقط، فقد أشار المؤرخون وأصحاب التراجم في العهد الحفصي إلى وجود قضاة بارزين في المدن التابعة للحفصيين ومنها مدينة بجاية[4]، التي تقلّد القضاء فيها عدد من الأندلسيين الذين عُرفوا بمهارة وقوة شخصية ومن أبرزهم:

---

1 - نصيرة عزرودي، المرجع السابق، ص 50.

2 - ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، المصدر السابق، ص 95.

* - قلعة بني سلمة (أو بني سلامة): تسمى قلعة تاوغزوت، تبعد بنحو ستة كيلومترات إلى الجنوب الغربي من مدينة فرندة، كما تبعد عن مدينة تيارت في الجنوب الغربي أيضا بتسع مراحل، أما سلامة الذي تنسب إليه أو إلى بنيه القلعة فهو سلامة بن علي بن نصر بن سلطان رئيس بني يدللتن من بطون توجين سكن تاوغزوت واختطّ بها القلعة فنُسبت إليه وإلى بنيه. ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، المصدر السابق، الحاشية رقم 04، ص 187.

3 - نفسه، ص 187.

4 - روبار برونشفيك، المرجع السابق، ج02، ص 114-121.

أ- أبو عمان سعيد بن علي بن محمد بن عبد الرحمن بن زاهر الأنصار:

ولد ببلنسية سنة **577**هـ/**1281**م، استوطن بجاية فتولى التدريس ثم القضاء بها حتى وافته المنية سنة **654**هـ/**1256**م[1].

ب- أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الخزرجي الشاطبي:

يُشير إليه الغبريني أنه يتمتّع بعلم محكم كان أبوه قاضيا وبيتهم بيت علم وقضاء، حيث قضى ببجاية، كان في قضائه على سنن الفضلاء معارضا للولاة فيما يخالف الشرع، ولما توفي رحمه الله عجز القضاة بعد هنالك على سلوك منحاه وكان رحمه الله كثير التشديد في أمر الشهادة والشهود، وكان لا يرى أن يقدم الشهود إلى عند الحاجة، وافته المنية بتونس في شهر صفر سنة **691**هـ/**1252**م.

ج- أبو العباس أحمد بن محمد بن الحسن بن الغمّاز الأنصاري البلنسي:

وقد وصفه الغبريني صاحب عنوان الدراية بـ:«شيخنا الشيخ الفقيه الفاضل الجليل القاضي الكبير الشهير رحل إلى بجاية واستوطنها ولقي المشايخ بها كأبي بكر ابن محزر، وكان ممن يُشار إليه بالنباهة والرياسة والسياسة ووقوف مع الحق»[2]، وقال عنه ابن القنفذ: «وكان ابن الغمار من سعداء الفقهاء، ... لم يقتصر به المستنصر على القضاء بل ناط به أشغالا سلطانية وكان ينظر له في كثير من الأمور»[3].

1 - الغبريني، المصدر السابق، ص 289.

2 - نفسه، ص ص 115-117.

3 - ابو العباس احمد بن الخطيب ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق: محمد الشاذلي النيفر عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968م، ص 86.

حتى أن المقري وصف أبو العباس بالشهير[1]، وذكره ابن قنفذ في الفارسية بأنّه الفقيه[2]، توفي سنة: **693**هـ/**1293**م[3]، ومن خلال ما سبق ذكره نستنتج أنّ طبقة القضاة الأندلسيين كانت لها مساهمة في إدارة الشؤون السياسية في بجاية التابعة إداريا للحفصيين.

3- التأثير السياسي للأندلسيين على مدينة بجاية:

لقد كانت مدينة بجاية محطّة مهمة للأندلسيين، حيث كانوا يمثلون نسبة كبيرة من سكانها، وكانوا ينزلون بها فرادى وجماعات حتى كوّنوا طائفة على جانب كبير من الأهمية احتفظت بكيانها، وتمتعت بخبرة متطورة، ولعل وجود هذه الفئة أسهمت فيه عدة عوامل منها الموقع المميز بالحصانة الطبيعية وخصبة التربة واعتدال المناخ فهي أشبه ببلاد الأندلس، حتى استقبلت مدينة بجاية أعداد كبيرة من الأندلسيين على جميع طبقاتهم حتى أصبحت مدينة أندلسية خلال القرن السابع الهجري، فالطابع الأندلسي أضحى السمة البارزة آنذاك وشارك هؤلاء المهاجرين مشاركة فعّالة في جميع مناحي الحياة سواءً أكانت سياسية أم اقتصادية أم اجتماعية أم فكرية ثقافية[4].

ويؤكد ذلك المقري بإشارته إلى أنّ التأثير الأندلسي في القرن **07**هـ و **08**هـ كان واضحا، فالمهاجرين الأندلسيين كانوا على درجة كبيرة من المستوى الثقافي والأدبي الراقي الذي أهلهم لتولي أهم الخطط والعلامات السلطانية[5]، فقد كانت للأندلسيين مشاركة فعلية على المستوى السياسي[6].

1 - المقري، المصدر السابق، ج04، ص 316.
2 - ابن قنفذ القسنطيني، المصدر السابق، ص 334.
3 - الغبريني، المصدر السابق، ص 119.
4 - علي أحمد كرير، المرجع السابق، ص 22-24.
5 - المقري المصدر السابق، ج03، ص 88.
6 - فرحات محمد إبراهيم بكار، المرجع السابق، ص 11.

فقد شارك هؤلاء الأندلسيين في تطوير الجوانب الإدارية والسياسية وكان لهم نصيب موفور فيها، إذ سبق لأغلبهم توليها عندما كانوا بالأندلس فأصبح تولّي الحجابة والوزارة وإسناد التوظيف الإداري والقيام بالمهام الدينية والتعليمية في غالب الأحيان من نصيب الأندلسيين واستطاعوا المشاركة في الحياة السياسية.

ولم يكن وصولهم لهذه المناصب وليد الصدفة، وإنما لحاجة الممالك الماسّة والشديد، لتطوير إدارتهم والاستفادة من أصحاب الكفاءات العالية ورجال من ذوي الخبرة والاختصاص في مختلف جوانب الحياة، وبخاصة في ظلّ التقدم الكبير في التنظيمات الإدارية والسياسية في بلاد الأندلس آنذاك مقابل حالة البداوة والتأخر النّسبي، وحالة الصراع على الحكم التي عاشتها بلدان المغرب في ذلك الوقت، وبالتالي فقد شاركت بعض العائلات والأفراد مشاركة فعّالة في تسيير الشؤون الإدارية والسياسة، ولعل أبرز مثال أسرة ابن خلدون التي كانت أكثر شهرة، وظلّت في مناصب في مدينة بجاية لفترة طويلة وتعاقب أبنائهم على هذه المناصب وبخاصة الوزارة والحجابة والكتابة[1].

انتشر الأندلسيون في كامل ربوع مدن إفريقية وبخاصة بجاية ومع ازدياد عددهم أصبح تولي الحجابة والوزارة من نصيبهم، وكان أول من تولاّها محمد بن أبي بكر بن الحسين بن خلدون أيام عبد الله الحفصي **765**هـ/**1364**م ثم أخيه المؤرخ عبد الرحمن سنة **776**هـ/**1375**م[2].

ظلّت أسرة ابن خلدون فترة طويلة من الزمن تسيّر الأمور في بجاية، ومن الأسر الأخرى عائلة سيد الناس التي لم تكن أقل شهرة من سابقتها، وقد عيّن أبي إسحاق الحفصي أبو بكر بن الحسين سيد الناس على حجابته، وعليه فقد تقلّدت الحجابة بصفة خاصة عائلات أندلسية مثل بني سيد الناس وابن أبي حسين وغيرهم.

1 – فرحات محمد إبراهيم بكار، المرجع السابق، ص 12.

2 – نفسه، ص 13.

أما وظيفة الكتابة: كانت الإنشاء "كانت من الوظائف الهامة..." فكان صاحب هذا المنصب يمثل المرتبة الثانية في بلاط بلدان المغرب الإسلامي المختص في ديوان الإنشاء يتولّى المكاتبات والأوامر السلطانية، وكذلك كتابة العلامة وهي جملة أو عبارة التوقيع تضاف إلى هذه المكتبات ثم ترفع للسلطان ليضع خاتمة عليها، وكان يشترط في الكاتب أن يحسن الإنشاء ويجيد الترسيل باللغة العربية، وأن يؤتمن على كتمان الأسرار ولم يشترط الحفصيون النسب في صاحب هذه الخطّة أن يكون من قرابتهم أو من طبقة الموحدين كعادتهم في بعض الولايات بل مُنحت هذه الوظيفة لعدد كبير من الأندلسيين لإجادتهم فنّ الكتابة، فقد كان هؤلاء الكتّاب يمثلون جماعة متخصصة ينتقلون من خدمة أمير إلى آخر حسب الظروف ويحتلون الوظائف في دواوين الإنشاء، ومن أشهر الكتّاب الذين توافدوا على المدينة وتولوا مهمة الكتابة: الأديب "الفقيه أبو المطرف المخزومي"[1].

وممن تولى الكتابة للحفصيين ببجاية أبو محمد عبد الله المعروف بابن .....، كذلك كان أبو زكريا يحي بن الحسن من أهل الأندلس رحل إلى بجاية واستوطنها، وظل هذا المنصب يشغله الأندلسيون طوال القرنين السابع والثامن الهجريين، فقد تم تعيين خالد بن عيسى البلوي من أهل الأندلس في خطّة الإنشاء والكتابة في بجاية في عهد أبي بكر بن أبي زكريا.

وبهذا نرى أن أغلب من اشتغل على ولاية العلامة والإنشاء هم من الكُتّاب الأندلسيين، ولِم هؤلاء الأندلسيون دور كبير في تسيير أمور الدولة وبخاصة خططها السلطانية فقد نجحوا في تطوير الجهاز القضائي أينما حلّوا، حيث تعدّ خطّة القضاء من أرقى الخُطط السلطانية وأرفعها، حيث أصبحت تمثل سلطة عليا في البلاد، ولم يخلوا جهاز القضاء في دول المغرب الإسلامي من الاعتماد على كثير من قضاة الأندلس وأبرز مثال على ذلك الخزرجي الشاطبي، قد تولى القضاء ببجاية.

[1] – فرحات محمد إبراهيم بكار، المرجع السابق، ص 14.

وخلاصة القول أنّ المهاجرين الأندلسيين كانت لهم مساهمات فعّالة في تطوّر مناحي الحياة المختلفة[1].

.

1 – علي أحمد كرير، المرجع السابق، ص ص 25-27.

خاتمة

خـاتـمــة

حافظت بجاية على مكانتها خلال العهد الموحدي، كما اعتبرت العاصمة الثانية للدولة الحفصية والمدينة الجاذبة للأندلسيين الذين أثّروا فيها في شتى المجالات، حيث ازداد التوافد الأندلسي بحاضرة بجاية وصار كثيفا وبأعداد متزايدة خلال القرن **07** هـ بسبب استيلاء النصارى الإسبان على المدن الأندلسية واتباعهم سياسة الطرد والتهجير لسكانها، وهذا نتج عنه تواجد عائلات أندلسية كاملة منظّمة ومترابطة ومتضامنة مع بعضها متمسّكة بعاداتها وثقافتها وكيانها الخاص، مكوّنة عنصرا جديدا من العناصر السكانية للمجتمع البجائي رافضين الاندماج مع غيرهم من السكان الأصليين محافظين بذلك على هويتهم الأندلسية الثقافية والاجتماعية.

ويبدو أن التوافد الأندلسي على حاضرة بجاية لم يقتصر على الطبقة المثقفة فحسب، بل نجد فئات أخرى من المجتمع من الحرفيين والصنّاع والفلاحين والتجار الذين ساهموا في التواصل الحضاري، وكان لهم دور في تطوير الاقتصاد في مجالاته المختلفة من التجارة والصناعة والزراعة.

أما سياسيا فكل من الدولة الموحدية ومن بعدها الحفصية اتبعت سياسة تعيين الأندلسيين بالمناصب العليا في مملكتها، اتفادت من خبراتهم فقد كانت للشخصيات الأندلسية مساهمة في إدارة الشؤون السياسية في بجاية التابعة إداريا للحفصيين فكان منهم الحجّاب والقضاة.

أما في الجانب العلمي يبدو جليا الحضور الأندلسي بمدينة بجاية حيث كانت الحياة العلمية بها زاخرة وثريّة عدد كبير من العلماء والطبقة المثقفة ولعل ذلك راجع إلى توفر المادة التاريخية التي أفادنا بها الغبريني في كتابه النفيس "عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية" حيث بلغ عددهم ما يفوق خمسة وعشرين عالما ما بين لفقيه وأصولي وأديب وشاعر ولغوي ومؤرخ وكاتب وطبيب وغيرها من التخصصات العلمية، وبسبب هذا الحضور الأندلسي النوعي والعددي بحاضرة بجاية ظهر فيها ما سماه الغبريني بـ"الجماعة الأندلسية" وعموما فالتأثير الأندلسي في الحياة العلمية ببجاية كان له الحيّز الأكبر، والملاحظ أنّ من ترجم لهم الغبريني من الأندلسيين الوافدين على بجاية قد برعوا في عدة علوم ومارسوا مهنة التدريس وتخرّج على أيديهم عدد من

خـاتـمــة

العلماء الكبار الذين لهم مصنفات كثيرة وقيمة وبعضهم كان له تخصص في جانب من العلوم النقلية أو العلوم العقلية.

ونودّ من خلال هذه الدراسة تسجيل ما أمكن من النتائج والملاحظات المهمة منها:

– شكلت هزيمة العقاب نقطة تحول نهائية وأخيرة في الصراع الإسلامي النصراني في الأندلس، حيث مالت لغة القوة إلى جانب النصارى.

– شجعت المقومات الطبيعية لبجاية على اختيار الأندلسيين الهجرة إليها واتخاذها مستقرا.

– ساهمت عقلية المجتمع البجائي المحبّة والمحتضنة للوافد على حساب المحلي في ازدهار مكانة العنصر الأندلسي حساب نظيره المغربي.

– ساهم الأندلسيون بشكل لافت في دفع عجلة العلوم والآداب وتنشيط حركة التأليف.

– استطاع الأندلسيون تطوير التعليم بتطوير أساليبه ونُظمه.

– تخرج على يد الأعلام الأندلسيين علماء ألّاء استطاعوا رفع لواء العلم والمحافظة على الثقافة العربية الإسلامية.

– ساهم الأندلسيون خلال القرن **06**هـ/**07**هـ بصورة كبيرة في تطوير التصوف.

وأخيرا دور الوجود الأندلسي في بجاية لازال بحاجة إلى مزيد من البحث.

وفي الأخير لا نزعم أننا قد قد استوفينا جميع محاور البحث الذي حاولنا من خلاله استكشاف التأثيرات الأندلسية في بجاية في عدة جوانب، ولكن سعينا قدر المستطاع أن نضيء بعض الجوانب المتعلقة بالتأثير الأندلسي على حاضرة بجاية..

الملاحق

الشخصيات العلمية الأندلسية المهاجرة إلى حاضرة بجاية الحفصية الواردة في كتاب"عنوان الدراية"للغبريني[1]	المدن الأندلسية
أبو مدين شعيب بن الحسين(ت 594هـ)	من ناحية إشبيلية
أبو محمد عبد الحق بن اللهعبد الرحمن بن عبد الله بن حسين بن سعيد بن إبراهيم الأزدي الإشبيلي(ت581هـ)	من إشبيلية
أبو محمد عبد الحق بن ربيع بن أحمد بن عمر الأنصاري(ت675هـ)	من أبدة
أبو العباس أحمد بن خالد(ت660هـ)	من مالقة
أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد الأموي(674هـ)	من مرسية
أبو عبد الله محمد بن صالح بن أحمد الكناني الشاطبي(ت699هـ)	من شاطبة
أبو العباس أحمد بن محمد بن خضر الصدفي الشاطبي(ت674هـ)	من شاطبة
أبو الحسن عبيد الله بن أحمد بن عبد المجيد بن عمر بن يحيى الأزدي (691هـ)	من رندة
أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الخزرجي الشاطبي(ت691)	من شاطبة
أبو العباس أحمد بن محمد بن الحسن بن الغماز الأنصاري البلنسي(ت693هـ)	من بلنسية
أبو عبد الله محمد بن علي الطائي الحاتمي الشهير سيدي محي الدين بن عربي المرسي(640هـ)	من مرسية
أبو الفضل قاسم بن محمد القرشي القرطبي(ت662هـ)	
أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن فتوح النفزي(ت642هـ)	من شاطبة
أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن قاسم الأنصاري المعروف بابن السراج الإشبيلي(657هـ)	من إشبيلية
أبو محمد عبد الحق الأزدي الإشبيلي (ت 628هـ)	من إشبيلية
أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن سبعين المرسي (ت 669هـ)	من مرسية
أبو الحسن علي النميري الششتري(ت668هـ)	من الششتر ناحية في وادي آش.
أبو زكرياء اللقنتي(الأندلسي)	من أهل الأندلس
أبو الربيع سليمان الأندلسي المعروف بـ"كثير"	من شلب*

[1] الغبريني،عنوان الدراية، من ص55 إلى ص301.

* شلب: "مدينة بغربي الأندلس بينها وبين باجة ثلاثة أيام، وهي غربي قرطبة."ياقوت الحموي،معجم البلدان،ج3،ص357.

تابع للملحق رقم01 [1].

أبو بكر محمد بن أحمد الزهري المعروف بابن محرز البلنسي (655هـ)	من بلنسية
أبو عثمان سعيد بن علي الأنصاري البلنسي(ت654هـ)	من بلنسية
أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري الإشبيلي(ت659هـ)	من إشبيلية
أبو المطرف أحمد بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن عميرة المخزومي(ت658هـ)	من جزيرة شقر
أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي الحضرمي المعروف بابن عصفور(ت669هـ)	من إشبيلية
أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الأزدي(ت661هـ)	من مرسية
أبو محمد عبد الله بن نعيم الحضرمي القرطبي(ت636هـ)	من قرطبة
أبو جعفر بن يوسف الفهري اللَبْلي الأندلسي(691هـ)	من لَبْلة*
أبو العباس أحمد بن محمد القرشي الغرناطي	من غرناطة

[1] لبلة: بالفتح، ثم السكون، ولام أخرى :قصبة كورة جيان بالاندلس كبيرة يتصل عملها بعمل اكشونية وغرب قرطبة ،صفي الدين القطيعي البغدادي،مراصد الاطلاع،ج3،ص 1197.

خـريـطـة المـعـارك الكُـبـرى في الأندلس[1]

قائمة

المصادر والمراجع

- **المصادر:**

1. ابن الأبار محمد بن عبدالله بن ابي بكر القضاعي، الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط02، 1985م، ج01.
2. ابن الأبار محمد بن عبدالله بن ابي بكر القضاعي، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام الهواس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 1415هـ/1995م، ج02.
3. ابن الأثير أبو الحسن علي بن أبي الكرم ، الكامل في التاريخ، تحقيق: نخبة من العلماء، دار الكتاب العربي، بيروت، 1983، ط4، ج7.
4. الإدريسي أبو عبدالله محمد بن عبد العزيز الشريف ، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق : اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.
5. ابن الخطيب أبو عبدالله محمد السلماني لسان الدين ، أعمال الأعلام، تحقيق: أحمد مختار العبادي وابراهيم الكتابي، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964، ج3.
6. ابن الخطيب لسان الدين ، الإحاطة في أخبار غرناطة، تقديم: محمد عبد الله، عمان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1975، ط2، ج3.
7. ابن الخطيب لسان الدين ، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1980، ط2.
8. أبي الفدا عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر ، تقويم البلدان، تصحيح: رينورد والبارون ماك كوكين، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1830.
9. ابن القنفذ ابو العباس احمد بن الخطيب القسنطيني ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق: محمد الشاذلي النيفر عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968م.
10. ابن خلدون عبد الرحمان: رحلة ابن خلدون، مراجعة محمد تاويت الطنجي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2004- 1425هـ.

11. البلنسي محمد العبدري ، الرحلة المغربية، تقديم : سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات الجزائر، ، 2007، ط1.
12. بن خلدون أبو زكريا يحي ، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تقديم وتعليق وتحقيق: عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية الجزائرية، (د.م)، 1980، ج1.
13. بن خلدون أبو زيد عبد الرحمان ، العبر ديوان المبتدا والخبر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: عبادة كحيلة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2007 ، ج6.
14. بن خلدون أبوزيد عبد الرحمان ، المقدمة، تحقيق: عبد السلام الشدادي، خزانة ابن خلدون، بيت العلوم والفنون والآداب، الدار البيضاء، المغرب، 2005، ط1، ج2.
15. التبنكي أحمد بابا ، نيل الانتهاج بتطريز الديباج، عناية وتقديم: الدكتور عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات دار الكتاب، طرابلس، 2000م، ط 02.
16. الحموي شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت ، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977، ج3.
17. الحميري محمد عبد المنعم ، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: احسان عباس، مكتبة لبنان، ، 1975، ط1.
18. السرجاني أبو محمد عبد اله بن محمد)بن احمد ، رحلة التيجاني، تقديم : حسن حسني عبد الوهاب، المطبعة الرسمية، تونس، 1378هـ- 1958.
19. العمري شهاب الدين بن يحي ، وصف إفريقية والأندلس في أواسط القرن 08هـ، تحقيق: حسن حسين عبد الوهاب، مطبعة النهضة، تونس.
20. الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد ، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية تحقيق عادل نويهض، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت،(د.ت)،ط2.
21. الفاسي حسن احمد بن محمد الوزان ليون، وصف إفريقيا، ترجمة: عبد الرحمان حميدة، مراجعة: علي عبد الواحد، المملكة العربية السعودية،(د.ت).

22. الفاسي علي بن أبي زرع ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب ومدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972.
23. مخلوف ابن قاسم ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 01.
24. المراكشي إبن عذرى ، البيان المغرب في الأندلس والغرب، قسم الموحدين، تحقيق: محمد ابراهيم الكتاني، محمد زنبير، محمد بن تاويت، عبد القادر زمامة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1406هـ/1985م، ط1.
25. المراكشي عبد الواحد ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس الى آخر عصر الموحدين ، تحقيق: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، 1426هـ – 2006م، ط1.
26. المغربي أبو الحسن علي ابن سعيد ، الجغرافية، تحقيق وتعليق: اسماعيل العربي، الجزائر، ، 1982، ط2.
27. المقري أحمد بن محمد ، نفخ الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1998،ج04.
28. مؤلف مجهول، الإستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق.
29. مؤلف مجهول، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، تحقيق: رضوان الداية، دار الفكر، دمشق، 2002، ط2.
30. مؤلف مجهول،الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، الدار البيضاء، (د.ت).
31. اليعمري أبو الفتح ، أجوبة ابن سيد الناس، تحقيق: محمد الرواندي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1410هـ-1990م.

- **المراجع:**

1. بروفنسال ليفي ، حضارة العرب في الأندلس، ترجمة: دوقان قرقوط، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت).
2. برونشفيك روبار ، تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن 10 الى القرن 13م، ترجمة حماد ساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ج1.
3. بلعربي خالد ، مساهمة الجالية الأندلسية في الحركة العلمية بتلمسان خلال العهد الزياني، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر.
4. بنادر الطيب ، الجزائر حضارة وتاريخ، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2008.
5. بوحوش عمار ، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ط1.
6. بورويبة رشيد ، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1997.
7. توات طاهر محمد ، أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنين السابع والثامن هجري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993.
8. الجيلالي عبد الرحمان ، تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ط7،ج1.
9. حارش الهادي محمد ، التاريخ المغاربي السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ الى الفتح الإسلامي، مؤسسة الجزائر، 1962.
10. خالدي عبد الحميد ، الوجود الهلالي والسليمي في الجزائر، الجزائر، 2003.

11. سعيدوني مولود ناصر الدين ، ناصر الدين مولود سعيدوني، التجربة الأندلسية بالجزائر، مدرسة بجاية ومكانتها في الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط (ق 6هـ – 7هـ/ 12-13هـ)، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ، 1417هـ/1996م، ط1.
12. السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير (العصر الإسلامي)، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ج2.
13. الطمار محمد ، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.
14. العبادي مختار أحمد ، في التاريخ الأيوبي والمملوكي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (د.ت).
15. العبادي مختار أحمد ، في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، 1978.
16. العربي اسماعيل ، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.
17. عنان عبد الله محمد ، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الرابع، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1416هـ-1997م، ط4.
18. عنان عبدالله محمد ، دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1408هـ-1988م، ط3.
19. فتحة محمد ، النوازل الفقهية والمجتمع، ، منشورات كلية الآداب، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء ، 1999.
20. الفقي عبد الرؤوف عصام الدين ، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1984.
21. فيلالي عبد العزيز ، تلمسان في العهد الزياني، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002م، ج01.

22. كارفخال مارمول ، إفريقيا، ترجمة عن الفرنسية: محمد حجي، محمد زنيبر، محمد الأخضر، أحمد توفيق، بنجلون أحمد ، دار نشر المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، 1409هـ/1989م.
23. مزهودي مسعود ، جبل نفوسة منذ انتشار الإسلام حتى هجرة بني هلال لبلاد المغرب، منشورات مؤسسة تاوالت الثقافية، ليبيا، 2003.
24. موسى احمد عز الدين ، النشاط الإقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، دار الشروق، القاهرة، 1983م،ط1.
25. مؤنس حسين ، معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، القاهرة، 1992م.
26. الميلي مبارك محمد ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (د.ت)، ج2.

- **الرسائل الجامعية:**

1. بحري السعيد ، الشعر في ظل الدولة الحفصية–دراسة تاريخية فنية، بحث مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي القديم، جامعة منتوري، قسنطينة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية، 2007/2006.
2. بوتشيش أمينة ، بجاية–دراسة تاريخية وحضارية من القرنين06هـ و 07 هـ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، إشراف: عبدلي لحضر.
3. بوحسون عبد القادر ، العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس خلال العهد الزياني، (633هـ–962هـ/ 1235–1554م) مذكرة ماجيستر، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2008.

4. خليفي رفيق ، البيوتات الأندلسية في المغرب الأوسط من نهاية القرن 3هـ الى نهاية القرن 9هـ، مذكرة ماجيستر، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 1428هـ-1429هـ/2007-2008.
5. ساحلي آسيا ، المشيخة الأندلسية في بجاية ودورها في تنشيط المعرفة التاريخية خلال القرن 7هـ-13م، جامعة 20 أوت 1955م، سكيكدة، 2014.
6. سعداني محمد ، الأندلسيون وتأثيراتهم الحضارية في المغرب الأوسط من القرن السابع إلى القرن التاسع الهجريين من القرن الثالث عشر إلى القرن الخامس عشر الميلاديين، أطروحة دكتوراه، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2016.
7. سيدي موسى محمد الشريف ، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بجاية من عصر الموحدين إلى الاحتلال الإسباني (06هـ/12هـ)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في لتاريخ الوسيط.
8. عمارة سيدي محمد، هجرة الأندلسيين الى بلاد المغرب الأوسط خلال القرن (7هـ/13م) و دورهم الثقافي، مذكرة ماحيستير ، جامعة وهران السانيا، 1433-1444هـ/2012-2013م،ص 65 .

- **المجلات والمقالات:**

1. السيد سحر عبد العزيز سالم ، أضواء على بعض المراكز التجارية في المغربين الأوسط والأقصى في القرن الثالث هجري، مجلة اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، العدد07، 2000.
2. طالبي محمد ، الهجرة الاندلسية الى افريقية أيام الحفصيين، مجلة الأصالة، العدد 24، 1975.
3. عزرودي نصيرة ، هجرة الأندلسين الى المغرب الأوسط بين الإنسجام والإصطدام من القرن 07هـ/13م الى القرن 8هـ/14م، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد04، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2009.

4. قدور عبد المجيد ، الهجرة الأندلسية الى المغرب الإسلامي ونتائجها الإجتماعية والحضارية، الجزائر كنموذج، مجلة العلوم الإنسانية، العدد20، 2003.
5. كبار فرحات ابراهيم محمد ، الهجرات الأندلسية الى بلاد افريقية في العهد الحفصي (625هـ932هـ/1222م)، مجلة العلوم والدراسات الإنسانية، جامعة بنغازي، 2016، العدد 27.
6. كرير علي أحمد ، التأثيرات السياسية والاقتصادية للأندلسيين في مدينة بجاية خلال القرن السابع الهجري، المجلّة العربية للعلوم الاجتماعية، المؤسسة العربية للاستشارات العلمية وتنمية الموارد البشرية، مصر، العدد04، ج01.
7. لقبال موسى ، ميزات بجاية وأهمية دورها في مسيرة تاريخ المغرب الأوسط في العصور الوسطى، مجلة الأصالة، السنة الرابعة، العدد 19، عدد خاص ببجاية، 1394هـ.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

كلمة شكر

قائمة المختصرات

مقدمة .....أ

الفصل التمهيدي
أصول و بدايات الهجرة الأندلسية الى بجاية

المبحث الأول: دوافع الهجرة الأندلسية الى بجاية خلال العهد الموحدي والحفصي 8

1 – معركة حصن العقاب: 8

2- انهيار الحواضر الأندلسية: 11

3- تردي الوضع الإجتماعي والإقتصادي بالأندلس: 13

4- العامل الجغرافي:.....15

المبحث الثاني: بجاية وجهة المهاجرين الأندلسيين: 17

1 - بجاية النشأة والتأسيس: 17

2 - لمحة جغرافية عن مدينة بجاية: 19

3- بجاية خلال العهد الموحدي والحفصي : 23

أ – بجاية خلال العهد الموحدي: 23

ب – بجاية خلال العهد الحفصي: 25

4 - استقرار الأندلسيين ببجاية : 28

الفصل الأول
الحياة الإجتماعية والإقتصادية للأندلسيين في بجاية خلال العهد الموحدي والحفصي

المبحث الأول: الحياة الإجتماعية للأندلسيين في بجاية 34

1- أهم البيوتات الأندلسية في بجاية: 34

أ – بيت ابن عمر الأنصاري: 34

ب- بن سيّد الناس: 35
ج - بيت ابن خلدون: 36
2- خصوصية الأندلسيين في المجتمع البجائي : 37
أ – العادات والتقاليد: 37
ب – نظام الجماعة الأندلسية: 39
ج- ميل الأندلسيين للإنعزال: 40
المبحث الثاني: الحياة الإقتصادية للأندلسيين في بجاية 42
1- الزراعة: 42
2- الصناعة والتجارة: 44
أ- الصناعة: 44
ب- التجارة: 46
3- التأثير الاقتصادي للأندلسيين على مدينة بجاية: 47

الفصل الثّاني
الحياة العلمية والسياسية للأندلسيين في بجاية

المبحث الأول: الحياة العلمية للأندلسيين في مدينة بجاية: 50
1- أبرز العلماء: 50
أ- أبومدين بن شعيب بن الحسين الأندلسي: 50
ب-أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حسين بن سعيد بن إبراهيم الأزدي الإشبيلي: 50
ج-أبو العباس أحمد بن خالد: 51
د-أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد الأموي: 51
هـ-أبوعبد الله محمد بن صالح بن أحمد الكناني الشاطبي: 51

و-أبو العباس أحمد بن محمد بن حسن بن محمد بن خضر الصدفي الشاطبي: 52
ز-أبو الحسن عبيد الله بن أحمد بن عبد المجيد بن عمر بن يحي الأزدي: 52
ح-أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن يحي بن حزب الله بن محمد بن خلف الله بن عبد الرحمن بن يعقوب الخزرجي الأنصاري الشاطبي: 52
ط-أبو العباس أحمد بن محمد بن الحسن بن الغماز الأنصاري البلنسي: 52
ي-أبو عبد الله محمد بن علي الطاشي الحاتمي الشهير بسيدي محي الدين بن غربي المرسي: 53
ك-أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن فتوح النفّري: 53
ل-أبو الحسن علي الشهير بابن الزيات: 53
م-أبوالحسن ابن عصفور: 53
ن-أبو العباس أحمد بن محمد القرشي الغرناطي:.....54
س-أبو عبد الله محمّد بن أحمد المعروف بابن الجنان: 54
2- أهم العلوم: 54
أ-العلوم النقلية: 55
- علم القراءات:.....55
- علم الحديث: 56
- الفقه: 58
- التصوف:.....58
ب-العلوم العقلية: 61
-الطب: 61
-التاريخ والجغرافيا: 61
-الأدب: 62

3- أثر علماء الأندلس على بجاية: 63
المبحث الثاني: لحياة السياسية للأندلسيين في مدينة بجاية: 66
1- الحجابة: 66
أ- أبو عبد الرحمن يعقوب بن أبي بكر بن محمد بن عمر السلمي: 67
ب- محمد بن محمد بن أبي بكر بن خلدون: 67
ج- عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن خلدون الإسبيلي الأندلسي: 67
2- القضاء: 68
أ- أبو عمان سعيد بن علي بن محمد بن عبد الرحمن بن زاهر الأنصار: 69
ب- أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الخزرجي الشاطبي: 69
ج- أبو العباس أحمد بن محمد بن الحسن بن الغمّاز الأنصاري البلنسي: 69
3- التأثير السياسي للأندلسيين على مدينة بجاية 70
خاتمة 74
قائمة المصادر والمراجع 81
الملاحق 77
فهرس الموضوعات 90